الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر– بسكرة –

كلية الآداب و اللغات

قسم الأداب و اللغة العربية

تلقي المصطلح مابعد البنيوية في النقد الجزائري في كتابات عبد الملك مرتاض

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب و اللغة العربية

تخصص: نقد أدبي

إعداد الطالبة: نورة سلامي

إشراف الدكتور: علي رحماني

الرقم	الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
01	جوادي هنية	دكتورة	رئيسا
02	رحماني علي	دكتور	مشرفا
03	مشقوق هنية	دكتورة	مناقشا

العام الجامعي:

1437هـ/1438هـ

2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله الذي منَّ علينا بفضله لإتمام هذا البحث المتواضع وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام "من لم يشكر الناس لم يشكر الله". أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور "علي رحماني" الذي كانت له اليد الطولى لإنجاز هذا البحث فقد تولى بصدر رحب الإشراف على هذه المذكرة ورغم حرصي على أن يكون هذا البحث في غاية الإتقان إلا أنني أعلم بأن هذا العمل سيكون ناقصا ودون المكانة التي كان الأستاذ الفاضل يبتغيني أن أصل إليها. وأشكر بشدة عائلتي الكريمة التي كانت دائما إلى جانبي وبالخصوص زوجي العزيز الذي ساعدني كثيرًا والذي من دونه لم أكن لأنهى هذا العمل في الوقت المحدد، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل ولم يتسنى لنا ذكر اسمه، لكم جميعا كل شكرنا.

"والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"

مقدمة

الخطاب الأدبي كي يكون إبداعاتها، ويكتسب شرعيته يستدعي قارئا يبعث فيه الحياة والمعاني والتأويلات، ويحتاج كذلك إلى قطب ثاني وهو النقد، لان كلا منهما يكون بكينونة الآخر، وأي نص إبداعي موضوعه نص إبداعي آخر وهو النقد، يكون النص الأول علة في وجود النص الثاني، والنص الثاني يساهم في تقليد النص الأول انطلاقا من عملية القراءة وبالتالي التأويل.

ولأن وظيفة النقد هي تقصي بنية النص الأدبي فإنه ينشأ خطاب ثالث، هو نقد النقد، وهنا يفرض كل ناقد رؤاه وتصوراته من خلال ما يتسلح به من عتاد لغوي وفكري، لأن مهمته لا غنى عنها في الأدب والنقد، إنه مطالب بأن يكون صوت الأديب ليوصل قصيدته إلى المتلقي وفق رؤيته هو.

ومع تزاحم المعلومات المعرفية وتوسعها في رحم الثقافة الأدبية التي نتجت عنها تيارات نقدية عديدة بدت ملامحها في احتوائها للمناهج النقدية المعاصرة، حيث أصبحت تطبق كنظريات أدبية، لما تمتلكه من بنى ألسنية وعناصر لغوية والحديث عن هذه المناهج يطول لما أحدثته من ضجة فكرية كان لها بالغ الأثر في النهج الأدبي والنقدي في العالم العربي، الذي كان مبهورا بالعصرية الغربية.

نجد أن ما بعد البنيويين يرون أنه من المستحيل الوصول إلى الحقيقة حتى عبر اللغة، لأن كل شيء تابع لميتافيزيقا الوجود، فالدال الكلامي مائع يصبح دائما بعيدا عن المدلول، وبهذا تصبح اللغة قابلة للانزلاق، والعلامات تتركب عشوائيا، لأنها تملك دينامية لا تظهر إلا في النص المكتوب، لتعيد خلق معاني جديدة ضد المعنى الظاهر، خاصة أن النص يبقى بعد موت المؤلف فيعمل ضد ذاته وبالتالي لا يمكن لمعاني الكلمات أن تكون ثابتة، فالكلمات تعكس معانيها، مثلا لا يمكن إدراك الليل إلا بالرجوع إلى النهار، من هنا نجد أن قلب العلامة بين متضادات يؤدي إلى عدك استقرار اللغة الذي هو أساس فلسفة "ما بعد البنيوية"، التي تركز على قراءة النص ضد نفسه، والبحث عن لا وحدته بدل وحدته.

ونحن في معرض دراستنا هذه سنتطرق إلى الحديث عن ما بعد الحداثة في النقد بصفة عامة والنقد العربي والجزائري بصفة خاصة ولا شك أن الساحة النقدية العربية والجزائرية تشهد في السنوات الأخيرة تطورا منقطع النظير نتيجة المثاقفة والاحتكاك بالتيارات النقدية الغربية، وذلك بفضل الجهود الجبارة المبذولة من قبل ثلة من الباحثين، ومن ثمة ألفينا هذا اللفيف يأخذ على عاتقه مسؤولية التنظير للنقد عامة، والنقد الجزائري خاصة، وقد .... هذا البحث تدفعنا مجموعة من التساؤلات أهمها: كيف تعامل الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض مع مصطلح ما بعد البنيوية تلقيا واستقبالا؟ وماهي أهم المصطلحات التي برزت في أعماله؟ ولغرض الإجابة عن هذه التساؤلات تناولنا بالبحث والدراسة الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض من خلال كتاباته.

ولغرض إيفاء هذه الدراسة حقها اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، ذلك أن الخطة المعتمدة مبنية على مقدمة ومدخل وفصلين أحدهما نظري والثاني تطبيقي، آثرنا الحديث في المدخل عن مفهوم التلقي عموما، التلقي النقدي بصفة خاصة، بالإضافة إلى الحديث عن نظرية التلقي والاستقبال.

أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه مفهوم مصطلح ما بعد البنيوية، والإرهاصات الأولى لهذا المصطلح وذكر أهم الرواد الذين تأثروا بما بعد البنيوية، كما تطرقنا إلى ذكر المناهج التي أفرزتها هذه المرحلة، وقد اخترنا: المنهج التفكيكي، السيميائي، التأويلي، مع التعريف وذكر الأسس التي قامت عليها.

أما الفصل الثاني فكان في استقبال النقد ما بعد البنيوي عربيا، وجزائريا، وقد ضمناه أولا: التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي عند العرب، وقد خصصناه في تلقي التفكيكية، السيميائية، والتأويل، ثانيا التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي في كتابات عبد الملك مرتاض وقد أدرجنا تحته استقبال المنهج التفكيكي عند عبد الملك مرتاض واستقبال المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض واستقبال المنهج التأويلي عند عبد الملك مرتاض.

أما الخاتمة فقد قدمنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، كان في مقدمتها دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة لـ: مادان ساروب، النظرية الأدبية المعاصرة لـ: رامان سلون، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، وإشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد لـ: يوسف وغليسي، والدرس السيميائي المغاربي لـ: مولاي علي بوفاتح، ومجموعة أخرى من الكتب سيرد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

أما الصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في أنه موضوع واسع ومتشعب مع ضيق الوقت الذي حال دون الإلمام بكافة كتابات عبد الملك مرتاض.

مدخل

ينطلق النقد من الأدب، من خلال وسيلة القراءة، لغرض دراسته وتفسيره وتوضيحه وفق ثقافة الناقد، ومواقفه وتصوراته لمختلف القضايا، التي تؤرقه أو تستدعي انتباهه، يسعى الناقد إلى قراءة الإبداع الأدبي، وفكره محمل بتصورات عديدة يفرضها عصره لان فكرة متجدد متفتح على مختلف الثقافات.

كما أن الثقافة لحمة متماسكة، إذا لم تسلح الناقد بهذه العدة أصبح ذا قدرة على النظر وإعادة النظر في القيم السائدة، لأن صوت الناقد يعلو فوق صوت الإبداع الأدبي من أجل استنطاقه. وبذلك نتج نص جديد من نص قديم، بفعل الفهم والقراءة التي قام بها القارئ.[1]

يعد التلقي – شاهد العلاقة بين النص والقارئ – من المرجعيات التي يقوم عليها فعل الاستقبال وما ينتج عنهما من حالة تأثير وتأثر وهذا بانتقال الإبداع من مؤلف النص إلى القارئ عن طريق التلقي، وهذا الأخير (التلقي) هو باكورة العلاقة بين النص والقارئ وعلى إثرها تنشأ علاقة تواصلية تربط المؤلف بالقارئ، والقارئ بالمؤلف، ونجد بأن فعل القراءة هو الحلقة الأساسية في ممارسة التلقي.

والنص لا يحقق وجوده إلا عبر لقائه بالقارئ الذي يعتبر محور نظرية التلقي التي شكلت ثورة في تاريخ الأدب، حين أعادت الاعتبار لهذا العنصر، وبوأته المكانة اللائقة على عرش الاهتمام الذي تناوبه المؤلف والنص من قبل ذلك أن: (القارئ ضمن الثالوث المتكون من المؤلف والعمل والجمهور، ليس مجرد عنصر سلبي يقتصر دوره على الانفعال بالأدب، بل يتعداه إلى تنمية طاقة تساهم في صنع التاريخ).

---

[1] ينظر: سامي منير عامر، وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث. دراسة في تطور مفهوم التذوق البلاغي، دار المعارف، (د ط)، مصر، ص 8 – 9.

وهذا الأمر يستهدف نظرة جديدة للعلاقة بين التاريخ والأدب مما يعني (إلغاء الأحكام المسبقة التي تتميز بها النزعة الموضوعية التاريخية، وتأسيس جمالية الإنتاج والتصوير التقليدية على جمالية الأثر المنتج والتلقي).

وهذه العلاقة الحوارية تفرض على مؤرخ الأدب (أن يتحول أولا وباستمرار إلى قارئ قبل أن يتمكن من فهم عمل وتحديده تاريخيا).[(1)]

وإذا كان الاهتمام بالقرائي تشرك فيه جميع منظري التلقي فإن الاهتمام نصب حول تحديد سمات هذا القاري، الذي قد يكون في شكل قارئ ضمني، أو مفترض، مجرّد، أو مجسد في صورة قارئ واقعي.

من هنا « لم تعد العلاقة بين المبدع والقارئ علاقة منتج ومستهلك فالقارئ لم يعد مستهلكا، ولم يعد النص هو الذي يمارس السلطة على القارئ وإنما القارئ هو من يقوم بممارسة السلطة على النص حتى يشارك في إكمال ماهو نائب في النص ».[(2)]

« والنص في نظرية التلقي هو سلسلة من الإجماعات الموجهة إلى القارئ، ودعوة إلى بناء المعنى من اللغة، لهذا أصبح دور القارئ هاما بقدر أهمية المؤلف، والعمل الأدبي في نظرية التلقي مكون من ثقوب على القارئ ملؤها، ووصل الصلات المفقودة، من خلال عملية القراءة، التي تساعده في وضع فرضيات، أو إيجاد استنتاجات وتوقعات، من شأنها بناء أفكار جديدة وإكمال النقص في النص ».[(3)]

وهذا التفاعل الحاصل بين القارئ والنص، لا يتم إلا بالتفاعل العميق بينهما، لأن العمل الأدبي يتحدد باستقباله وما يتحقق جماليا بالقراءة، واستخراج خبايا النص والوقوف عند المدهش

---

(1) المختار السعيدي، نظرية التلقي في الغرب 2009/05/03، مقال الكتروني email:arabagreg@gmail.com، بتاريخ 2017/03/02، 21:35.

(2) موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دار جرير، ط1، الأردن، 2008، ص 99.

(3) محمد عزام، التلقي والتأويل، دار الينابيع، ط1، دمشق، 2007، ص 78.

والمثبر، لذلك لم يعد دوره مقتصرا على ملامسة سطح النص، وإنما غدا دوره كامنا في الكشف عن أعماق النص بشكل يجسد تفاعلا خلاقا بين النص والقارئ.(1)

ويمكن أن نمثله بالشكل التالي:

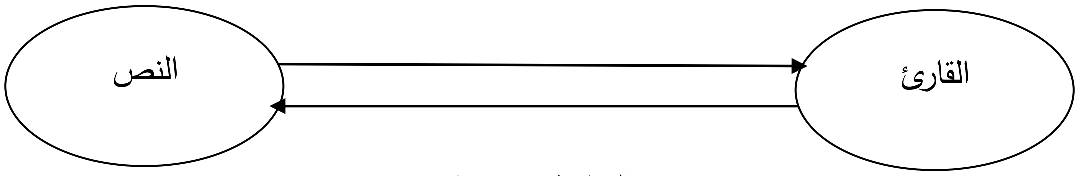

التفاعل بينهما

ومن التعاريف التي يمكننا صياغتها لنظرية التلقي نجد:

تعريف مصطلح التلقي: يقول أولريش كلاين في معجم الأدب بأنه "ليس مجرد استهلاك سلبي للأدب، وإنما هو عملية فعالة في الفهم والتقييم وإعادة الإنتاج الأدبي"، وقد شاعت أربع مصطلحات مرادفة للتلقي هي: نظرية التلقي، نظرية الاستقبال، نظرية استجابة القارئ والقراءة، وهذه المصطلحات في مجملها تشير إلى تحول بؤرة الاهتمام من قطب المؤلف والنص إلى قطب القارئ ودوره في النص.

تعريف مصطلح التلقي النقدي: يعني استقبال القارئ للنص الأدبي بعين الفاحص بغية فهمه وإفهامه، وتحليله في ضوء مرجعيات الثقافية الموروثة والحديثة، وآرائه المكتسبة في معزل عن المؤلف.(2)

(1)موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، ص 100-101.

(2) ينظر: ماجد الجعافرة، أمجد طلافحة، المرجعيات في النقد والأدب واللغة، م1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 797.

ومن أهم المفاهيم التي بلورتها نظرية التلقي نذكر: أفق الانتظار، والمسافة الجمالية، والقارئ الضمني، الفجوات والفراغات (مواقع اللاتحديد)، فعل القراءة (الذي يعتمد على الصور الذهنية لدى القارئ).

إذا كان مصطلح "نظرية الاستقبال"، قد لقي رواجا وانتشارا في النقد الألماني الغربي بصفة خاصة، فإن مصطلح "نقد استجابة القارئ" هو المتداول في المعاجم الأنجلو أمريكية.

نظرية التلقي والاستقبال: أحدثت جمالية التلقي " Rezeptionastehetik" ثورة في الدراسات الأدبية، تمثل ذلك في إعلانها عن تغيير النموذج في علوم الأدب، وكان محرك ذلك التغيير هو التحول في الاهتمام الجذري من دراسة ثنائي الكاتب – النص إلى تحليل العلاقة النص – القارئ. فقد كان التلقي قبل هذه النظرية ضيق المفهوم، منغمسا في التيار السيكولوجي (الأنغلو– أمريكي)، فجاء أصحاب هذه النظرية فوسعوا المفهوم، وأقاموه على دعائم موضوعية ومعرفية وفلسفية، واعتمدوا على مفهوم التجربة الجمالية بأبعادها الثلاثة: البعد الاستقبالي والبعد التطهيري والبعد التواصلي(1).

كما أن نظرية الاستقبال وجمالية التلقي، ظهرت لتقدم اعتراضا على الفهم أو التطورات البنيوية للأدب، بكونها نظرية تغني بالفهم لا بالقراءة فحسب، لأنه عملية وظيفية دالة تسهم إسهاما فاعلا في بناء المعنى الأدبي للنص.(2)

ومن بين أسباب ظهور "جمالية التلقي" هو الصراع بين المناهج النقدية المختلفة التي سعت إلى وصف ومقاربة النص الأدبي من زوايا عدة، حيث ازدهرت البنيوية في الستينات محاولة تأسيس مناهج علمية شاملة، لكن نجمها بدأ بالاطول نهاية الستينات أمام ولادة المناهج النقدية الحداثية التي ترعرعت في حضن مرحلة سميت بـ "ما بعد البنيوية" وتشمل السيميائية،

(1) ينظر: محمد خير البقاعي، تلقي "رولان بارت" في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي (كتابه لذة النص نموذجا)، مجلة عاصم الفكر، م 27، ع 1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 26.

(2)بشرى موسى صالح، مرجع سابق، ص 41، 42.

والتفكيكة، والتأويلية والتلقي نشأت بألمانيا في أواخر الستينيات. حركة عرفت باسم "جمالية التلقي" "Esthetiquedelareceptions" التي انطلقت من محاضرات هانزروبرتياوسh.R.yauss بجامعة "كونستنس constance". والتي عدت الأساس لنظرية جديدة في فهم الأدب وتفسيره، والوقوف على أهم إشكالياته التي خلقتها النظريات التي تعاقبت على فهمه وتحليله، وإلى جانب مقترحات "ياوس" قدم "فولفغانغ آيزر" مجموعة من الإقتراضات التي تصب في الاتجاه نفسه.

وتوجد خمسة أنواع من المؤثرات في نظرية الاستقبال وهي: [1]

1- الشكلانيون الروس.

2- بنيوية براغ.

3- ظواهرية رومان أنجاردنRomanIngarden.

4- هيرمونيطيقا جاد أمير H.G.Gadamer.

5- سوسيولوجيا الأدب.

كل هذه المؤثرات تدعو في جوهرها إلى إعادة الاعتبار للذات المتلقية وإشراكها في العملية الإبداعية.

لقد استعارت نظرية التلقي من الفلسفة الظاهراتية كثيرا من مفاهيمها التي نادي بها روادها وعلى رأسهم "هورسل Husserl" و "رومان أنجاردن"، حيث تحولت إلى أسس نظرية ومفاهيم ومحاور إجرائية. وأبرز المفاهيم الظاهراتية المؤثرة في اتجاه جمالية التلقي مفهوم المتعالي والقصدية.

---

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص 70.

كما استفاد أصحاب نظرية التلقي من الفيلسوف "هانس جون غادامير" – في نظرية إلى التأويل وعمل الفهم وإعادة الاعتبار إلى التاريخ – في إعادة إنتاج المعنى وبنائه.(1)

طرح "ياوس" في كتابه "من أجل جمالية التلقي، ومن أجل تأويل علمي للأدب" مفاهيم جديدة عن التلقي وهي: مفهوم أفق الانتظار، ومفهوم تغيير الأفق، ومفهوم المنعطف التاريخي.

في مقابل "ياوس yauss" نجد "آيزر IZER" هو الآخر قد أسهم في نظرية التلقي ولم يكن منحاه فلسفيا أو تاريخيا مثل "ياوس"، بل اهتم بقضية بناء المعنى، وطرائق تفسير النص من خلال اعتقاده أن النص ينطوي على عدد من الفجوات (Lacunas)التي تستدعى قيام المتلقي بعدد من الإجراءات لكي يكون المغزى وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج وهو يكشف يذلك عن أن النص يتضمن حتمية تشكل ركنا أساسيا من وجوده، إنها ماثلة فيما يطلق عليه آيزر: القارئ الضمني (ImpliedReader).

كما ابتدع مجموعة من المفاهيم الإجرائية مثل: السجل والإستراتيجية، ومستويات المعنى ومواقع اللاتحديد.(2)

ميز آيزر بين قارئه الضمني والقراء الآخرين كالقارئ المثالي، والقارئ المعاصر، والقارئ المخبر وغيرهم، فالقارئ الضمني عنده "هو تصور يضع القارئ في مواجهة النص في صيغ موضع نصي يصبح الفهم بالعلاقة معه فعلا".(3)

وفكرة القارئ الضمني هي من الرؤى النقدية الأكثر شيوعا عند آيزر والتي ضمنها كتابا له بهذا العنوان أين يعرفه بأنه حالة نصية وعملية إنتاج للمعنى على السواء، أي أن له وظيفتان: الوظيفة الأولى تجعله بينة في النص، والوظيفة الثانية تجعل منه فعل القراءة نفسه.

(1)ينظر: ماجد الجعافرة، أمجد طلافحة، ص 806.

(2)المرجع نفسه، ص 806.

(3)عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص 137.

فالقارئ الضمني بهذا المفهوم أشبه ما يكون بالحاكم الافتراضي للنص تضرب جذوره في بنية النص وبتوجه إليه بالخطاب ويحقق له ما يصبو إليه من ميول ورغبات، إذ نجد القارئ الضمني في التراث النقدي العربي من خلال مفهوم "عمود الشعر" أي أّن اللغة الشعرية تحولت إلى تقاليد تعتبر مخالفتها خروجا عن الشعرية الأدبية التي نصب المتلقي الضمني ركيبا للمحافظة عليها.

والقارئ الذي يطلب منه ملء الفراغات لابد أن يكون قارئا متمرسا وليس قارئا عاديا، فالقارئ المتمرس يمتلك القدرة على ملء الفراغات التي يتركها المبدع لذكاء القارئ وفطنته، وعادة ما تنجم هذه الفراغات من جبل أسلوبه لا يكتشفها إلا قارئ متمرس.[1]

لقد حاول ياوس أن ينظر غلى تطور الأدب من زاوية المتلقي، وهذا من خلال ما يسمى "بأفق التوقع" وذلك بعد أن رأى إهمالا متصاعدا لطبيعة الأدب التاريخية.[2]

ويعرف مؤرخ الفن أ.هـ: حمبرش (أفق التوقع) في كتابه (الفن والوهم) متأثرا ببوير بأنه "جهاز عقلي يسجل الانحراف والتحويرات بحساسية مفرطة".

ومصطلح الأفق ليس غريبا على الفكر الفلسفي الألماني المحيط به والسابق عليه فقد استخدمه "جادانير" ليشير إلى مدى الرؤية التي تشمل كل شيء يمكن رأيته من موقع يعينه مناسب.[3] كما استخدمه "هوسرل" و "هايدجر" و "غادامير" و"كارل مالهايم" وغيرهم.

وإذا كان "ياوس" قد اهتم بالتلقي في حقل تاريخ الأدب، فقد اهتم "آيزر" بتحليل الأعمال الفردية وكيفية تكوين المعنى لدى القارئ، ولئن ارتبط مصطلح "أفق التوقع" بياوس والذي اعتمده كمعيار نقدي للحكم على نجاح العمل الأدبي، فكذلك "الفجوات والفراغات" معيار نقدي يستعمله

---

(1) موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، ص 106.

(2) محمود القشيري، الاتجاهات الأدبي والنقدية الحديثة، دليل القارئ العام ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط2، 2009، ص 15.

(3) إبراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المعالجات إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 112.

آيزر ليحكم على رفعه النص الأدبي وكلما قلت فراغات العمل الأدبي وضاقت آفاقه أمام القارئ وحرم من المشاركة في اكتشاف معانيه – عد العمل فاشلا –.

وبعد ما تعرضنا لأفكار "ياوس" و "آيزر" يمكننا أن نحدد الفارق بين كل واحد منهما، فياوس يسعى إلى تلبية المطلب الماركسي عن طريف وضعه الأدب في السياق الأوسع للأحداث.

"وفي الوقت الذي اعتمد فيه ياوس على علم التفسير (الهيرمونيطيقا) متأثرا "بهانز جورج غادامير" على نحو خاص، كانت الظواهرية (الفينومينولوجيا) هي المؤثر الأكبر في آيزر متأثرا على نحو خاص، بعمل رومان أنجاردن الذي تبني منه آيزر نموذجه الأساسي". [1]

لقد تضامن نظرية التلقي مع اتجاهات ما بعد البنيوية في نبذ الشكل الواحد للمعنى وتفويض مبدأ الإلمام بالملفوظ اللساني دليلا على بناء النص. [2]

يمكننا القول بان نظرية التلقي جاءت كرد فعل على المناهج التي استبعدت المتلقي وهمشته، واهتمت بالمؤلف والنص.

---

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص 123.

[2] ينظر: إبراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المعالجات إلى التفكيك، ص 109.

الفصل الأول: ما بعد البنيوية

1/ ما بعد البنيوية

1-1- المفهوم

1-2- الإرهاصات الأولى لما بعد البنيوية

2/ ما بعد البنيوية في النقد العربي

2-1- التفكيكية

2-2- السيميائية

2-3- التأويل

1/ ما بعد البنيوية:

1-1- المفهوم:

تمخضت عن البنيوية "ما بعد البنيوية" Postst ructuralisme في أواخر الستينات، ويرى البعض أن "ما بعد البنيوية" كانت بمثابة تطور لجواب متضمن في البنيوية نفسها، ولكن هذا الرأي غير مقنع، لأن "ما بعد البنيوية" تسخر من هذه النزعة البنيوية التي ليست لها قيمة وتهزأ بدعاويها، كما أن ممثلو ما بعد البنيوية هم بنيويون اكتشفوا خطأ طرائفهم على نحو مفاجئ.[1]

وبهذا نصبت « القدرة النقدية لما بعد البنيوية نفسها لمواجهة العوامل التي قد تضعف من تقدمها، أو تقلل من أهمية نتائجها، وبذلك تشكلت منطقتها لتشمل معظم الساحة النقدية العالمية، امتدادا من أمريكا حتى اليابان، في حين تشكل رقعة المنهجيات الأخرى نسبة ضئيلة من الرصيد النقدي العالمي، وقد أدى هذا إلى أن يكون المسار النقدي لما بعد البنيوية موازيا لشعار القطبية الأحادية، والتفرد الإيديولوجي والهيمنة التحليلية التي وجدت البنية المثلى في المدرسة الأمريكية النقدية ».[2]

يحدد (مادان ساروب) ما بعد البنيوية بمجموعة من أعلام النقد الحديث أمثال (دريدا Derida، فوكو Foucoutt، دولوز Deleuz، جاتاري Getarie). ويرى أن "ما بعد البنيوية" قد شاركت طروحات البنيوية في التحليل النقدي للتاريخانية (Historicism) والتحليل النقدي للدلالة والتحليل النقدي للفلسفة. [3]

---

(1) ينظر: رامان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ت: جابر عصفور، دار قباء للنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 117.

(2) ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، ت: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط1، 2008، ص: 149.

(3) ينظر: مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ت: خميسي بوغرارة، منشورات مختبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003. ص: 7.

لقد امتازت ما بعد البنيوية حسب ماران ساروب بجملة من الخصائص أهلتها إلى قيادة النقد بعد مرحلة البنيوية ومن هذه الخصائص نذكر:

1- تأكيد التجاوب بين النص والقارئ كعملية إنتاجية.

2- إعادة نظر نقدية فلسفية في الميتافيزيقا ومفاهيم العلة والهوية والذات والحقيقة.

3- تنتقد وحدة العلامة المستقرة بين الدال والمدلول (النظرة السوسيرية).

4- إنتاج تحاليل نقدية للتصور الديكارتي للذات الموحدة – الذات / الكاتب كوعي – كمصدر أو سلطة تثبت المعنى والحقيقة. [1]

تؤكد الدراسات النقدية أن ظهور مصطلح "ما بعد البنيوية" قد تأتى من الأحداث المهمة التي جرت بعد ثورة (ماي 1968) في باريس، في حين أعلن عن موت البنيوية رسميا عقب محاضرات "جاك دريدا" عام 1966م.

بما أن ما بعد البنيوية قد نهضت على أشلاء البنيوية « إلا أن الاختلاف بينهما كان كبيرا على الصعيدين المنهجي والسياسي، فالبنيوية اتخذت من مبدأ الثنائيات الضدية حدا لتوضح المعقول واللامعقول، أما بعد البنيوية فقد اتخذت من مبدأ النقض والتفويض حدا لبيان آلياتها ».[2]

إن التحول من مسار البنيوية إلى ما بعد البنيوية هو تحول من مسار احتكار البنية إلى مسار ترويضها بمعنى الانتقال من البنية الممركزة إلى البنية المهمشة وقد قاد هذا التحول إلى المطالبة بإحلال العملية الميكانيكية إلى نسبة فلسفية غامضة، وإلى إحلال (الخطاب الدال، النص) محل المصطلحات التقليدية في الفلسفة (الجوهر والمادة).

---

[1] المرجع السابق، ص: 8.

[2] إديث كريزويل: عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، 1993، ص: 14.

ومن ثم « إحلال بعض التيمات المتعلقة بالتعيين المتناهي الخاص بتعدد القراءات، حيث مثلت إزاحة المعاني والمراجع الثابتة ضربا من التحرر الجنسي الفنتازي ونشاطا بديلا يقوم حين تستحيل الثورة السياسية ».(1)

نجد بعض الدراسات تقول بوجود تداخل بين مصطلحي "التفكيكية وما بعد البنيوية"، بحيث يصعب الفصل الإجرائي بينهما.

من هنا إذا كان الطرح التفكيكي وما بعد البنيوي واحد، فما هو الاختلاف بينهما ؟

يمكن القول بأن « الاختلاف بينهما هو اختلاف بيئي سياسي لاختلاف منهجي وظيفي، لأن مصطلح (التفكيكية) يستخدم في أمريكا، ويقابله مصطلح (ما بعد البنيوية) في فرنسا ».(2)

1-2 الإرهاصات الأولى لما بعد البنيوية:

بعد الإعلان الرسمي عن موت البنيوية (بعد محاضرات جاك دريدا سنة 1966) فرصة لظهور حركة جديدة أطلق عليها مصطلح "ما بعد البنيوية" وقد اتسمت ما بعد البنيوية بنزعة فلسفية وفكرية ساهمت في تغيير مسار بعض البنيويين أمثل "رولان بارت" الذي تحول عن البنيوية إلى "ما بعد البنيوية"، وانتقل في دراسته من أهمية المؤلف في تركيب النص إلى دور القارئ في النص من حيث توليد معاني جديدة لا نهاية لها، وهذا ما جاء في مقالته "موت المؤلف" La mort de buteur سنة 1968، التي أعلن فيها استقلالية النص وحصانته ضد أي تقييد له بمعايير أو حدود ما قصده الكاتب منه، فيصبح القارئ بهذا هو المنتج للنص. (3) ومن هنا يصبح القارئ عند بارت منتجا للنص بعد ما كان متفرجا عليه.

(1) ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، ص: 245.

(2) رامان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 56.

(3) المرجع نفسه، ص: 120-121.

ولعل "بارت" في كتابه (S/Z) سنة 1970 « الذي تناول فيه رواية قصيرة غير مشهورة ولكنها شائقة لبلزاك، وكان هذا الكتاب هو الكتاب الذي اشتهر به بارت خارج فرنسا، وخارج نطاق المتخصصين بالأدب الفرنسي ».[1]

فهو هنا يحاول تبيان « كيفية التعامل مع العدد الهائل من السرديات فهو يبدأ بنكتة عن رجل بوذي وحبة فاصولياء، مثال: (Science avec patience, le suplice) في هذا المقطع تبدأ "ما بعد البنيوية" بشق طريقها، بنكت غامضة تسخر من الذين أخذوا البنيوية على محمل الجد في يوم من الأيام ».[2]

ففي كتابه هذا يحلل "بارت" قصة بلزاك من خلال طرحه لخمسة شفرات أو تصنيفات هي: « الشفرة Proairetic المعنية بالأفعال المتعاقبة التي تؤلف السرد والتي تؤلف السرد والتي يسميها بارت بـ Act، والشفرة Hermenteutic التأويلية ويسميها بارت بـ her والشفرة Symbolic، الرمزية، المعنية بمسائل مثل التناقض الكبير بين الحياة والموت، والتي تفتتح بها القصة ويسميها بارت Sym، والشفرة Connotational، التضمينية التي تثمل فيها الدوال مقولات عامة مثل الأنوثة ويسميها بارت Sem وأخيرا الشفرى Referential المرجعية، التي غالبا ما يعتقد خطأ أنها تحيل إلى واقع خارجي، خارج النص، في حين أنها تشير، كما يضعها بارت إلى شفرات متنوعة شائعة ثقافية ويسميها بارت Ref ».[3]

إلى جانب "رولان بارت Rouland Barth" نجد أيضا ميشال فوكو Michel Faucalt.

لا يختلف "ميشال فوكو" عن غيره من مفكري "ما بعد البنيوية" « في النظر إلى الخطاب بوصفه نشاطا إنسانيا مركزيا، ولكنه لا يراه نصا عاما كونيا، أو بحرا من الدلالة، فهو

---

(1) جون ستروك: البنيوية وما بعدها، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، (د.ط)، الكويت، 1997، ص: 88.

(2) ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، ص: 218.

(3) المرجع نفسه، ص: 2018.

يهتم بالبعد التاريخي من التغير الخطابي ذلك لأن ما يمكن قوله يتغير من حقبة إلى أخرى».[1]

فالنقد مع "ميشال فوكو" قد تحول إلى حفريات لا تعترف بالبنيات الصورية، والحفريات كمنهج عنده يتعلق بتاريخ المعرفة الوضعية أو التجربة، من هنا يمكننا تعريف الحفريات بأنها: فرع من التاريخ العام تختص بالبحث عن الآثار المطموسة التي خلقتها المجتمعات البشرية حيث يوظف "فوكو" الحفريات في وصف الخطابات، ليصبح التاريخ عنده عبارة عن حفريات تحول الوثائق إلى آثار تصفها من الداخل، فهي تصف الوثيقة كنظام احتفاظ العبارة أي كنسق وتحول المنطوقات.[2]

وللحفريات وظيفة جوهرية تتمثل في وصف الصفائح المعرفية المترسبة عبر كل منظومة إبستيمية والتي تؤسس تصورها الخاص حول الأشياء وصياغتها المحددة المركبة من أشكال الرؤية (النظرية) وأنماط التعبير (اللغة) ما يرى وما يعبر عنه يلتحمان في طبقة معرفية معينة، ويحددان شروط إنتاج وتحول المعرفة، فهما يؤسسان الحفريات كمنهج وصفي قصد بناء الموضوعات وطرح الإشكاليات وتشكيل المفاهيم.[3]

نجد أن أعمال "فوكو" في كتابه "نظام الأشياء" و "أركيولوجيا المعرفة" « يعالج بنية الخطابات العلمية، إذ أن أحسن طريقة لفهم الخطابات وهي أن ننظر إلى الخطابات كممارسة تشكل أو تنتج بطريقة انتظامية للمواضيع التي تعالجها، ويرى فوكو في نظام الأشياء أن إيقاعات التحول والتغير في بعض الأنواع التجريبية من المعرفة كالبيولوجيا والأمراض العقلية

---

(1) رامان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 153.

(2) ينظر: محمد شوقي الزين: الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص: 30-31.

(3) المرجع نفسه، ص: 31.

والطب وغيرها لا تساير مخططات التطور المستمر، ففي ميدان الطب نشأت طريقة جديدة في الخطاب والنظر».[1]

لقد كان "فوكو" « طوال حياته يهتم بما يستثنيه العقل، أي الجنون والصدفة، وعدم الإستقرارية وعدم الانتظام، ومن هنا بين في كتابه "الجنون والحضارة" كيف تغيرت نظرة القرن 17 للجنون والفقر، والبطالة والإعاقة، والكسل حيث اعتبرت مشاكل اجتماعية تقع تحت مسؤولية الدولة ».[2]

ومن هنا نلاحظ أن فوكو أعطى أهمية بالغة للممارسات الخطابية، من هنا جاءت تفكيكية دريدا.

يعد "جاك ديردا" من المنظرين الأوائل الذين أسهموا في ولادة "ما بعد البنيوية"، وقد كان لمقالته الشهيرة "البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية" في الندوة التي عقدت في جامعة "جون هوبكنز" عام 1966 الأثر الأكبر في الخطاب ما بعد البنيوي فقد شكك في هذه المقالة بأسس البنيوية.[3]

يهتم دريدا بالفلسفة وتناول النصوص الفلسفية والتعليق عليها، من أجل ذلك قدم نصوصا تظهر خفايا الأسس الميتافيزيقية في النصوص، ويظهر جليا التقليد الفلسفي الهوسرلي والهيدغري من داخله، حيث يرى أن البنيوية تقوم على ميتافيزيقا الحضور التي يجدها أينما اتجه، ويقدم لنا مفاهيمه التقنية كالأثر والاختلاف من أجل تهشيم هذه الميتافيزيقيا.[4]

---

[1] مادان ساروب: دليل تمهيدي ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص: 95.

[2] المرجع نفسه، ص: 88-89.

[3] رامان سيلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 134.

[4] ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، ص: 239.

وفي هذا الصدد نجد بان دريدا قد استمد مقولة "الحضور" من الإطار الظاهراتي والتي لا تعمل إلا في إطار نقيضها "اللاحضور".(1)

"يعمل دريدا على استنباط القضايا الفلسفة من النص الأدبي، حتى وإن استعار في هذا السبيل معطيات علوم اللغة والأصوات والبلاغة والنحو، مما يجعل القراءة الدريدية للعمل الأدبي في مجال النقد الأدبي، الذي يستهدف جماليات الأدب وتقنياته الفنية، بحيث تقوم عملية التفكيك على مساءلة النص الدريدي لنص سابق عليه أو معاصر له، وهو ما يضمن لمؤلفاته إيقاعها الحيوي والواصل في الحقيقة".(2)

"ومن الأمثلة التي تؤكد على الطاقة الفلسفية للنص الأدبي في أعمال دريدا التفكيكية نجد تحليله قصيدة "لحظة موت" وأغرب درس فلسفي للأدب وأدله على اهتمام دريدا بالفلسفة في الأدب يمثله كتاب "أجلاس"، حيث يمثل النص ثلاث نصوص فلسفية، وبهذا يوفق دريدا بين هذه القراءة البينية للأدب والفلسفة لا على المستوى التحليلي للنصوص الأدبية – فحسب – ، بل وعلى مستوى كتاباته العجيبة.(3)

2/ ما بعد البنيوية في النقد الأدبي:

تعد التنويعات والتغييرات والتحولات التي طرأت على النقد الأدبي في مرحلة ما بعد البنيوي بمثابة الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، فبعد انهيار البنيوية وتحول أصحابها إلى ما بعد البنيوية، طرأ الجديد في مسار النقد الأدبي، كما يمكننا القول بأن "للنقد الأدبي الحديث علاقة خاصة بالموضوع، بوصفه مرتبطا أولا وقبل كل شيء بالأدب الحديث، ذلك الأدب الذي نهض من المرحلة الرمزية الفرنسية نهاية القرن التاسع عشر، وبرر بالتدقيق نمط التفكير ما بعد

---

(1) المرجع السابق، ص: 247.

(2) جاك دريدا: في علم الكتابة، ت: أنور مغيث، منى طلبة، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، 2008، ص: 26.

(3) المرجع نفسه، ص: 29.

البنيوي".[1] من هنا نجد أن نمط تفكيرهم قد جعل من القارئ محط اهتمام وعنصرا فعالا في هذه المرحلة، ومن النظريات التي نتجت عن هذه المرحلة نجد: التفكيكية، السيميائية، التأويلية وهذا ما سنتناوله بالدراسة والتحليل من أجل فهم مرحلة ما بعد البنيوي في النقد الأدبي.

1/2- التفكيكية: "Déconstruction"

أ- التعريف بالتفكيكية:

يعتبر مصطلح التفكيكية من المصطلحات المتداولة في الخطاب النقدي المعاصر، ومن المفاهيم التي يمكننا وضعها لمصطلح التفكيكية نجد: « أنه يوحي بالتفتت والتشقق والبعثرة والضياع وهو مصطلح ثري وغني ومليء بالدلالات الفكرية حيث يتجاوز فكرة الهدم، إنه قراءة ثانية للخطابات والنصوص والأنظمة الفكرية».[2]

أما دريدا فيضع له المفهوم التالي: « هو تقويض للمنطق الغائي والاستمراري الذي قامت عليه الميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون وحتى هايدغر، مرورا بهيجل وهوسرل ».[3]

كما أن التفكيك اصطلاح استعاره دريدا من هايدغر، وهو يعني به « تفكيك التراث المدروس من الداخل، وتجزئته إلى بناه الأولوية الأساسية من أجل معرفة الكيفية التي تشكل عليها، وتبيان عدم بداهته، وبالتالي تبيان تاريخيته وإمكانية تغييره ».[4]

(1) ريتشارد هارلند: ما فوق البنيوية (فلسفة البنيوية وما بعدها)، ت: لحسن أحمامة، دار العوار للنشر والتوزيع، ط 2، سوريا، 2009، ص: 14.

(2) بسام قطوس: استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، دار الكندي، (د.ط)، إربد، الأردن، 1998، ص: 22.

(3) أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا والتفكيك، دار الفرابي، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص: 92.

(4) أحمد عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، ص: 76.

والتفكيك بالإضافة إلى ذلك « يمثل حجر الزاوية للعلوم الألسنية والسيميولوجية الحديثة». [1]

ومصطلح التفكيك ظهر في أيام البنيوية « إنه حركة بنيائية وضد البنيان ». [2]

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن التفكيكية ليست مجرد قلب وهدم للمقولات التقليدية، بل هي نشاط قرائي تقرأ فيه النصوص بطريقة مختلفة، ومن الملاحظ أيضا أن التفكيكية أعطت الأولوية للقارئ من أجل النبش والكشف عن الدلالات القابعة وراء ستائر الكلمات أو ما يطلق عليه دريدا "التأجيل الدلالي".

ب- الأصول الفلسفية:

لقد كان للفلسفة حظ وافر، بفضل الأفكار التي تحملها في طياتها « حيث كان تأثر الدعاة واضحا، بأفكار الفلاسفة الوجوديين والمثاليين أمثال "نيتشه" و "هيدجر"، معتمدة على مبدأ الشك وعدم الوثوق في الكثير من المفاهيم والمبادئ. ومن الملاحظ على رائد التفكيك "جاك دريدا" أنه اخذ مصطلح التدمير من فلسفة "هيدجر" ». [3]

أما الفيلسوف "نيتشه" فقد أخذ عنه « الشك في جميع الأفكار الباحثة عن الحقيقة، وكذلك قضية موت المؤلف التي طرحها "دريدا" وتعود في أصلها إلى الجذور الفلسفية والخلفيات الأيديولوجية من خلال إعلان "نيتشه" لموت الإله ». [4]

---

(1) المرجع نفسه، ص: 76.

(2) عادل عبد الله: التفكيكية إدارة الاختلاف وسلطة العقل، ط1، دمشق، سوريا، 2010، ص: 112.

(3) بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2001، ص: 248.

(4) المرجع نفسه، ص: 205.

كما يمكننا القول بأن التفكيكية هي « بداية دورة جديدة لثنائية الشك واليقين، فتجريبية القرن السابع عشر أقامت اليقين، أي إمكانية تحقيق المعرفة اليقينية عن طريق الاعتماد على الحواس والثقة في المعرفة التي يمكن التأكد منها بإتباع المنهج العلمي ».(1)

إذن يمكن عدها إحدى تنويعات الثنائية المحورية (الموضوع، الذات) و(الداخل، الخارج)، فالشك في سلطة طرف يعني عودة اليقين إلى سلطة الطرف الآخر، وهكذا استمرت التجربة كمنهج لتحقيق تلك المعرفة اليقينية إلى أن شككت الفلسفة الألمانية في قدرة الخارج على تحقيق المعرفة، إذ أصبحت التجربة موضع شك قابلة يقين العقل بمقولاته الميتافيزيقية العليا السابقة للوجود ».(2)

وبعدما تأكد للعالم أن « العلم فشل في تحقيق السعادة والأمان والمعرفة اليقينية، عاد الشك في قدرته على تحقيق المعرفة ».(3)

وقد كان رد الفعل النقدي في ما بعد البنيوية هو الذي منح القيمة والثقة في قدرة الذات من أجل تحقيق المعرفة، لأن موجة الشك الجديدة كانت أكثر شمولية وعمقا.

ومن خلال دراستنا للتفكيكية، نجد أنها تشبه النموذج الهيدجري، من خلال استعارة عدة مفاهيم منها: مصطلح التدمير وفكرة "تحت الشطب"، إلا أن هناك بعض الاختلافات الطفيفة بينهما من حيث اعتماد التفكيك على الكتابة.

ونلاحظ أيضا أن "أسلاف" دريدا الفكريين "نيتشه" و "فرويد" و "هايدجر"، أحسوا بضرورة تبني استراتيجية "تحت الشطب" فقد وضع هايدجر "الكينونة" تحت الشطب، وفرويد "العقل"، ونتشيه "المعرفة".

---

(1) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، (د.ط)، الكويت، 1998، ص: 261.

(2) المرجع نفسه، ص: 261.

(3) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص: 261.

الأصول اللسانية:

تحمل التفكيكية في طياتها موروثا لغويا، وهذا يعني أن أفكار جاد دريدا ورولان بارت وغيرهما من التفكيكيين لم تخرج غن الإطار العام الذي رسمه "فردينا نددي سوسير".[1]

فدعاة التفكيك لم يقدموا تصورا خاصا بهم للعلاقة اللغوية كما فعل سوسير، وإنما استخدموا المبادئ والأفكار التي جاء بها دو سوسير عن العلاقة بين الدال والمدلول، كما « تبنوا الآراء السوسيرية حول استقلال النص كبنية لغوية وعزلها من مختلف الوسائط الخارجية، وأن المعنى يتحقق من خلال حرية العلامة داخل ذلك النسق ».[2]

في الحقيقة أن "رولان بارث" لا ينكر تأثره بأطروحات اللسانيين ويظهر هذا في قوله « دراستي النقدية الأدبية استلهمت تطور علوم اللغة التي ازدهرت بفرنسا في مطلع الخمسينيات وكنت في طليعة الذين تمثلو ا قيمة كتابات "سوسير" وقواعد "جاكبسون" وموضوعات إيميل بنفنست ».[3]

لقد استفاد التفكيكيون من مقولات "دي سوسير" اللسانية وهي: « الثنائية الضدية، وقد قابلوها بمصطلح "الاختلاف، التأجيل، فهو يقوم بوظيفة قد تختلف قليلا عن وظيفة الثنائيات الضدية" عند سوسير وهي تحقق الدلالة باللعب الحر ولا نهائية الدلالة ».[4]

من هنا فالتفكيكيون قام بتغييب المعنى عن طريق الاختلافات وتأجيل الدلالة.

وفي الأخير نستنتج أن استراتيجية التفكيك قد استمدت موروثها الفكري من أطروحات الفلاسفة وكذا أطروحات اللسانيين فيما يتعلق بالثورة على فلسفة الحضور ونقد البنيوية والتمركز

---

[1] ينظر : بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية، ص: 212.

[2] المرجع نفسه، ص: 212.

[3] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه للطباعة والنشر، ط 3، 1993، ص: 29.

[4] بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية، ص: 23.

حول سلطة العقل، كما أن استراتيجية التفكيك اتكأن على مبدأ الثنائيات الضدية والنظرة الوصفية، وما إلى ذلك من المبادئ التي أضفت على المشروع التفكيكي صبغة لسانية.

ج- نقد التفكيكية:

لقد جاءت بعض الانتقادات الشديدة للتفكيكية نذكر منها: يرى "تيرى إيجلتن" « أن من أهم خصائص التفكيكية رفضا التام لمفهوم الكلية totality وتبجيلها للذات الموحدة unifiedself فالتفكيكية تؤكد أن النصوص الأدبية ليس لها علاقة بأي شيء آخر عدا نفسها، وبالتالي فالتفكيكية لا تلوم أحدا على الاستغلال واللاعدالة في العالم ».[1]

كما نجد الناقد كريستوفر نوريس يرى أن « التفكيكية تتنافي مع الفكر الماركسي وأن تبصراتها مطرزة بخطابية هي نفسها معرضة للقراءة التفكيكية ».[2]

فعند ما يدخل النقد دهاليز التفكيكية يصبح ملتزما باستمولوجيا تشكيكية ترجع في الأصل إلى "نيتشه" وليس إلى "ماركس".

إن بورديو يأخذ على دريدا كونه يتقوقع في ميدان الفلسفة المثالية – ولا يفكر على المستوى السوسيولوجي – في الوظائف التي تضطلع بها التفكيكية في المؤسسات.[3]

بالإضافة إلى ذلك نجد الناقد إيليس الذي يشك في التمييز الدريدي الأساسي بين الكلام والكتابة ويلح على استحالة البرهان على أولوية الكلمة المكتوبة.[4]

ونجد ناقد آخر وهو "كريستو فرباتلر" يصف التفكيك بأنه « يقع ضمن الاتجاهات التشكيكية التي لا تؤمن بإمكانية تحقيق تصور موضوعي للواقع والأفكار، وقد وصل هذا الشك

---

(1) مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص: 82.

(2) المرجع نفسه، ص: 82.

(3) المرجع نفسه، ص: 159.

(4) المرجع نفسه، ص: 164.

إلى اللغة ذاتها، وفي قدرتها على نقل الواقع والأفكار نقلا موضوعيا في ردة فعل واضحة على البنيوية الذي أكد على تناسق بنية النص الأدبي وفق منطق وقوانين لغوية صارمة لا تقبل التعديل، أو التغيير، ولا تتأثر بأي شيء خارجها، فالتفكيك ومنذ بدايته الأولى انطلق من التشكيك في العلم ثم تحول إلى الشك في كل شيء، ولذلك شبهه بعض النقاد الباحثين بثور هائج يدمر كل شيء من غير ضوابط ».[1]

ويقول أحد الباحثين بأن التفكيك « يخرب كل شيء في التقاليد، ويشكك في الأفكار الموروثة عن العلاقة واللغة، والنص والسياق والمؤلف، والقارئ، ودور التاريخ وعملية التفسير، وأشكال الكتابة ».[2]

يقول هنري ميلر « العدمية لقد أصبحت هذه الكلمة لقبا للتفكيك الحاضر سرا وعلانية كحاسم لطراز جديد من النقد يخشى منه ومن قدرته على التشكيك بقيمة كل القيم ».[3]

د/ بعض المقولات النظرية للنقد التفكيكي:

- الكتابة – المغايرة – الإرجاء:

هي مبادئ اخترعها "جاك دريدا"، « وتؤكد على حرق السكونية القديمة، فالكتابة عند "دريدا" لا تعني المفهوم التقليدي "الحرف" أو "النقش المرئي"، فالكتابة تصبح هي المركز لتسبق النطق وتدخل في حوار سلمي مع اللغة، والكتابة تعطي فضاء للنقاش بين المخرج والممثل حول الحركات، والموسيقى، والمشاهد التي تصير فوق الخشبة دون الإجراء القهري للأوامر،

---

[1] جيروم ستولنيتز: النقد الفني (دراسة جمالية فلسفية)، ت: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، بيروت، لبنان، 1981، ص: 201.

[2] المرجع نفسه، ص: 201.

[3] المرجع نفسه، ص: 202.

فينتج عن هذا توافق كلي بين الملفوظ والراكن إلى الانفجار الساكن، كتمهيد لخلق نتاج وابتكار يتحد مع المنتظر وحلقة التأصيل ».[1]

وخلال هذه العهدة السلمية بين الكلمة والكتابة ينطلق جاسوس تفكيكي آخر يسحب الاختيار القاصر للكلمة من حيث الصورة الشكلية التي يعتمدها "دريدا" قصدا ليؤكد صحة اكتشافه، وهي الاختلاف، حيث تلاعب بتركيبها اللفظي ليمرر فكرته الهادمة لميتافيزيقا الحضور، فجعل النقاد يتضاربون في جوهرها وأصلها أهو الاختلاف أم الإرجاء أم التأجيل ؟

إن نحوية "جاك دريدا" المتكونة من فعل الإرجاء وفعل التأجيل لم تأت عبثا بلد قصد "دريدا" إلى الكتابة ليبرز الفرق بين الحرف " E" والحرف " A"، الذي لا يتجلى إلا من خلال الكتابة، وبذلك يبرهن على أهمية الكتابة وعدم غموضها، كما يشير إلى خطر الكتابة على النطق باعتبارها مستمدة من الفراعنة.[2]

- الحضور والغياب:

قبل ولادة التيارات الحداثية وما بعدها كان الفكر الغربي يؤمن بفلسفة الحضور، أي أن الفكر لا يعترف بما يحضر في وعيه، وبذلك تتشكل الدلالة لديه وأن « كل ما هو واقعي لا يمكن إلا أن يكون عقلانيا، أي لابد أن يحضر في الوعي وتمثله المفاهيم العقلية، ولكن الفكر العربي الجامع المتغير باستمرار أصابه انقلاب فأصبح يقول بالنقيض، أي بفكرة الغياب التي تعني أن في الذات جانبا خفيا وسريا لا يحضر في الذهن، ولا يمكن للفكر أن يتمثله ».[3] من هنا فالتفكيكيون يرون أن الفلسفة منذ أفلاطون إلى هيجل هي فلسفة حضوره وهي فلسفة

---

(1) رضوان جودت زيادة: صدى الحداثة وما بعد الحداثة في زمنها القادم، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 2003، ص: 60.

(2) المرجع السابق، ص: 61.

(3) جيروم ستولنيتز: النقد الفني (دراسة جمالية فلسفية)، ص: 198.

ضربت بجذورها عميقا في ساحة الفكر الغربي، لذلك ثار دريدا على هذه الفلسفة ليقول بفلسفة الغياب، بمقابل فلسفة الحضور.

ومن هذه الفكرة أي فكرة الغياب انطلق "جاك دريدا"، وقد تجلت عنده هذه الفكرة في موضوع القراءة فإذا كانت البنيوية تنطلق من أن « النص حامل أسرار كثيرة تحتاج إلى الفك، ولفهم فاعلية القراءة لابد من فهم العلاقة الجدلية بين الدال وهو الصورة الصوتية أو الكتابة وبين الدال والمدلول، وهو المتصور الذهني للدال، فالدال يمثل حالة الحضور ولكن المدلول يمثل حالة الغياب ويكون دور القارئ عندئذ استدعاء هذا الغائب أي استدعاء هذا المتصور الذهني الغائب، أو البحث عنه واستكمال النقص فيه، وذلك كله من منطلق العلاقة بين الدال والمدلول وهي علاقة حتمية، حيث يكون المدلول دائما مرهونا بالدال محكوما به لا ينفك عنه، ولا يكتسب مفهومه إلا من خلال وحده ».[1]

- الصوتمركزية والكلممركزية Plonocentusme et motcentrisme:

يرى "دريدا" بأنه « بقدر ما كانت الفلسفة الغربية "صوتمركزية"، أي ممركزة على الكلام ومرتابة من الكتابة، بقدر ما كانت "كلممركزية" أيضا، تعتقد بوجود "كلمة" قصوى نهائية – أو حضور، أو جوهر، أو حقيقة، أو واقع – تكون ركيزة للفكر واللغة والتجربة، لقد كانت الفلسفة دائما تواقة إلى العلامة التي ستعطي المعنى لكل العلامات الأخرى – "الدال الأسمى" – وإلى ترسيخ معنى لا شك فيه يكون قبلة كل العلامات الأخرى ومنتهاها – "المدلول الأسمى" – وتشمل الأمثلة عند هذه العلامات: الله، الفكرة، الروح الكونية، الأنا، المادة، إلخ ».[2]

ويرى "دريدا" كذلك « أن "الصوتمركزية" و"الكلممركزية"، ترتبطان بالمركزية ذاتها ؛ أي الرغبة البشرية في افتراض حضور "مركزي" في البداية والنهاية ؛ ويؤكد أن هذه الرغبة في

(1) المرجع السابق، ص: 198.

(2) مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص: 54.

المركز، في مصدر السلطة، هي التي تولد التقابلات الثنائية المرتبة، بطرف علوي وآخر سفلي، وينتمي الطرف العلوي في هذه التقابلات إلى الحضور والكلمة أما الطرف السفلي فهمته تحديد مكانة الطرف العلوي وإحداث أو إظهار الانتفاض، فالتقابلات بين الفكر والحس، والروح والجسد استمرت على طول "تاريخ الفلسفة الغربية" مورثة عبئها للألسنية التي تحدث التقابل بين المعنى والكلمة، ويأخذ التقابل بين الكلام والكتابة مكانه داخل هذا الإطار وتبعا لنفس النمط». (1)

2-2 السيمياء Sémiologie:

بعدما تعرضنا لدراسة الاتجاه التفكيكي مع رائده "جاك دريدا" نأتي الآن من أجل دراسة اتجاه ثاني وهي "السيمياء" الذي بلغ أوجه مع "رولان بارت" و"شارل ساندرس بيرس" وغيرهم من الفلاسفة.

تعد السيميائيات تخصصا معرفيا حديثا بالمقارنة مع غيره من التخصصات، فهي علم يستمد مبادئه من حقول معرفية كثيرة مثل: اللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي، إلا أن ملامحها المنهجية لم تظهر إلا مع بداية القرن العشرين.

أ- التعريف بالسيميائية:

السيميائية علم تمت ولادته الحقيقية على يد العالم اللغوي "فرديناند دي سوسير" Ferdinand Desaussur، حيث سعى النقد السيميائي دوما إلى تعزيز أرضيته تعزيزا ألسنيا ومن ذلك أن مهمة اللساني تكمن في اعتماده على مبدأ الثنائية للظاهرة اللغوية [(لغة / كلام)، (الاختبار / التأليف)، (الداخل / الخارج)، (دال / مدلول)، (واقع / خيال)...] وكل هذه المسائل كانت بمثابة المقدمات النظرية التي استثمرتها المناهج الجديدة في رحلتها إلى العوالم

(1) المرجع السابق، ص: 56.

الداخلية للنص الأدبي والسيميائية يأتي في طليعة هذه المناهج النقدية المستثمرة ويتجلى ذلك في التركيز على القطب الداخلي للنص.

وقد عرف هذا العلم فوضى مصطلحية كبيرة، وأخذ زوايا نظر متعددة، حتى وإن كان قد أخذ مكانته كمنهج نقدي، له وجاهته في معالجة النصوص الأدبية، خاصة بعدما تأكد فشل المشروع البنيوي.

ومنه سنحاول الإلمام بأهم المفاهيم العامة للسيميائيات لدى النقاد والباحثين:

تؤكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح " Sémiotique" يعود إلى العصر اليوناني فهو آت كما يؤكد "برنار توسان" « من الأصل اليوناني "Sémion" الذي يعني علامة و"Iogos" تعني العلم، فالسيمولوجيا هي علم العلامات ».(1)

كما كان للفلسفة اليونانية الفضل الكبير في تحديد البوادر الأولى لهذا العلم، حيث اتفق جل الباحثين والسيميائيين أن السيميائيات « علم يستمد مبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللغويات والفلسفة».(2)

يرى يوسف وغليسي أن القول بمصطلح سيميائية، ينتقل بنا إلى « استعادة المفهوم الإغريقي لمصطلح Sémion: علامة مميزة (خصوصية)، أثر، قرينة، سمة مؤشرة، دليل، سمة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، رسم مجازي ».(3)

(1) برنارد توسان: ما هي السيمولوجيا؟، ت: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص: 09.

(2) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الجزائر، ط1، 2010، ص: 20.

(3) يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص: 131.

أما غريماس فيشير إلى أهم المصطلحات المتقاربة لهذا المفهوم « وهي في رمتها تقبع في المعاجم السيميائية المختصة، أبرزها Séméiologie, Sémasiologie, Sémiotique, s2miologie ».[1]

ورغم هذه التعددية للمصطلح الغربي، إلا أن أشهرها على الإطلاق هما "Sémiologie" و "Sémiotique"، « فالأوروبيون يفضلون مفردة السيميولوجيا التزاما منهم بالتسمية السويسرية، أما الأمريكيون فيفضلون "السيميوطيقا" التي جاء بها بورسا ».[2]

وهذه القضية إيديولوجية بحتة، فرغم الإقرار « بتبني مصطلح السيميوطيقا وتأسيس الرابطة الدولية للدراسات السيميولوجية ».[3] إلا أن كل طرف يلتزم باستخدام المصطلح المتفق مع إيديولوجيته وتعصبه.

ومن التعاريف الموجودة في المعجم نجد: "معجم روبير" فقد أورد في تعريف السيميائيات مايلي: «نظرية عامة للأدلة، وسيرها داخل الفكر، كما أنها نظرية للأدلة والمعنى، وسيرها في المجتمع، وفي علم النفس تظهر الوظيفة السيميائية في القدرة على استعمال الأدلة والرموز».[4]

وعموما السيميائيات هي علم واسع ومتشعب، فمن الصعب جدا وضع مفهوم محدد للسيميائيات، ومن التعاريف أيضا نجد: تعريف "فرديناند دوسوسير" الذي يقول: « إن اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنها لتقارن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم البكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامات العسكرية وإننا لنستطيع أن

---

(1) مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 2005، ص: 125.

(2) عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، فرحة للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2003، ص: 16.

(3) عزت محمود جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، (د.ت)، ص: 326.

(4) رشيد بن مالك: السيميائية، أصولها وقواعدها، تقديم عز الدين مناصرة، منشورات الاختلاف، (د.ط)، 2002، ص: 175.

نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، وإنه العلاماتية، وإنه سيعلمنا مما تتكون العلامات وأي القوانين تحكمها ».[1]

"فدوسوسير" رغم دراساته اللغوية الخالصة، إلا أنه استطاع التفطن إلى "السيميولوجيا" ويظهر ذلك في قوله: « يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية علما سيشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم فرعا من علم النفس العام: وسوف نطلق على هذا العلم اسم سيميولوجيا ».[2]

أما السيميوطيقا عند "شارل سندرس بيرس" هي « نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات ».[3] أي أن بيرس ربط العلامة بالمنطق.

ونجد "جوليان غريماس Jolian Grimas" يعرف السيميائيات بقوله أنها: « علم جديد مستقل تماما عن الأسلاف البعيدين وهو من العلوم الأمهات ذات الجذور الضاربة في القدم فهي علم جديد، ومرتبط أساسا بـ "سوسير"، و"بيرس"، الذي نظر إليها مبكرا، ونشأ هذا العلم في فرنسا اعتمادا على أعمال (جاكبسون ويا لمسليف)، وكذلك في روسيا ».[4]

والسيميائيات عند كل الغربيين هي « العلم الذي يدرس العلامات ».

وموضوعها تحدده "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" بقولها: « إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات وهي ما يشكل موضوع علم أخذ يتكون، ويتعلق الأمر بالسيميوطيقا ».[5]

---

(1) منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2004، ص: 17.

(2) فريد أمعضشو: المنهج السيميائي، الموقع: ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب، 2010/07/08.

(3) المرجع نفسه.

(4) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الجزائر، ط1، 2010، ص: 14.

(5) عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص: 18.

فالموضوع الأساسي الذي تدور حوله السيميائيات هو "العلامة"، أما مهمتها فتلخصها "كريستيفا" في قولها: « دور السيميائية هو بناء نظرية عامة عن أنظمة الإبلاغ ».[1]

ويرى "روبيرت شولز" بأن السيمياء هي « دراسة الشفرات أي الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث، أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى وهذه الأنظمة هي نفسها أجزاء، أو نواحي من الثقافة الإنسانية ».[2]

ويعرفها "أمبرتو إيكو" أنها تعني « بكل ما يمكن اعتباره إشارة ».[3]

كما يرى أيضا أن السيمياء « هي علم يدرس سائر ظواهر الثقافة بوصفها أنظمة للعلامات ... وهي في جوهرها اتصال ».[4]

وهكذا أكثر السيميائيين من طرح تعاريف للسيمياء، لكنهم لم يأتوا بالجديد فكلهم يقتبسون من سوسير.

ب- الجذور:

- الأصول الفلسفية:

تعد السيميائيات تخصصا معرفيا حديثا بالمقارنة مع غيره من التخصصات، فهي علم يستمد مبادئه من حقول معرفية كثيرة منها: اللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي، إلا أن ملامحها المنهجية لم تظهر إلا مع بداية القرن العشرين.

---

(1) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص: 12.

(2) روبر شولز: السيمياء والتأويل، ت: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994، ص: 13.

(3) دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، ت: طلال وهبة، دار المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص: 28.

(4) سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد: (السيموطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد)، ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة العربية والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1987، ص: 351.

فالتفكير السيميائي يعود إلى الفكر اليوناني مع أفلاطون وأرسطو اللذين أبديا، اهتماما بنظرية المعنى وكذلك إلى أيام الرواقيين الذين ميزوا بين الدال والمدلول والشيء وقد قال عنهم "أمبرتو إيكو": « فهم يميزون بوضوح بين العبارة والمضمون والمرجع ويبدو أنهم نقلوا الثلاثية التي أوحى بها أفلاطون وأرسطو ولكنهم درسوها بدقة قلما وجدت لدى تلاميذهم المعاصرين». [1]

بالإضافة إلى ذلك نجد بأن السيمياء استمدت « بعض مبادئها من الفلسفة الوضعية، فالفلاسفة الوضعيون هم الذين اعتبروا اللغة كلها رمزا، وهذا الرأي اقتفاه النقاد السيميائيون في تصورهم للعلامة، فالوضعيون عرفوا الإنسان على أنه حيوان قادرا على استخدام الرموز، وميزوا بين اللغة العلمية وغير العلمية وجعلوا لدراسة الرمز علما خاصا أطلقوا عليه مصطلح السيميوطيقا Sémiotique ». [2]

« وعلى الرغم من تأثرها بالفلسفة الوضعية فقد تأثرت بالفلسفة التجريبية وهذا بدا واضحا في أطروحات السيميائيين، ولعل أول من استخدم مصطلح (Sémiotique) في العصر الحديث هو الفيلسوف الإنجليزي التجريبي "جون لوك" حيث عني بمصطلح السيميوطيقا، العلم الذي يهتم بدراسة الوسائل التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها، ويكمن هدف هذا العلم في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل بغية فهم الأشياء أو نقل معرفته إلى الآخرين ». [3]

---

(1) أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ت: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، لبنان، 2005، ص: 75.

(2) بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية، ص: 114.

(3) المرجع نفسه، ص: 114.

في حين جعل "بينتر" هذا العلم « على علاقة مع أجزاء النسق بما فيها المقتضيات الفلسفية والوجودية والابستيمولوجية لنظرية الدلائل ».[1]

وهكذا نجد أن السيمياء تضرب بجذورها في أغوار الماضي السحيق حيث تعود بواكيرها إلى الفكر اليوناني القديم مع كل من أفلاطون وأرسطو والرواقيين.

- الأصول اللسانية:

إن السيمياء علم تمت ولادته على يد العالم السويسري "فرديناند دي سوسير" من خلال آرائه المبثوثة في كتابه " Cours de linguistique Générale" حيث يقول: « بمقدورنا أن نتصور علما يدرس حياة الإشارة وسط الحياة الاجتماعية، فيكون هذا العلم قسما من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي قسما من النفس العام سنطلق عليه اسم سيميولوجيا وسيتبين لنا هذا العلم ما هو مضمون الإشارات، وأي قوانين تتحكم فيها».[2]

ومما سبق يتأكد لنا أن السيميائية كمنهج نقدي، تقوم على جملة من التداخلات الجذرية مع الحقل اللساني، ويثبت لدينا أن السيميائية بتصوراتها المختلفة، أطروحة ترعرعت في مهد اللسانية الغربية.

ج- اتجاهات السيميولوجيا:

- سيمياء التواصل:

يذهب أنصار سيمياء التواصل (بويسنس، برييتو، كرايس، أوستين، مونان) إلى تشكل العلامة من وحدة ثلاثية المبنى (الدال، المدلول، القصد)، وتتمحور أعمالهم حول الوظيفة

---

(1) بيير جيروم: علم الإشارة (السيميولوجيا)، ت: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، (د.ط)، دمشق، سوريا، 1988، ص: 12-15.

(2) فرديناند دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة، ت: غازي ومجيد الناصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط 1، 1986، ص: 27.

التواصلية المدركة في البنيات السيميائية التي تشكلها الحقول غير اللسانية، وحصروا السيميائية بمعناها الدقيق في أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية.

يمكننا القول بأن هذا النوع من السيميولوجيا، قد استمد بعض أفكار "دوسوسير" حول اللغة التي يقول بشأنها: « اللغة نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار ».[1] وقد ذكر كل الإشارات اللغوية وغير اللغوية لكنه جعل اللغة أشدهن أهمية، كما يحيل قوله إلى جعله الإشارات فعلا تواصليا مع الآخرين، وهذا ما يؤكد عليه بقوله: « حين ذكر أن الفكرة القائلة بأن اللغة هي نظام من أنظمة الاتصال فقط، لم يبلورها كما ينبغي ».[2]

ولسيمياء التواصل محوران اثنان هما: [3]

1- محور التواصل:

وينقسم إلى تواصل لساني بين البشر بواسطة الفعل الكلامي، يشترط تحقق دائرة الكلام (سوسير)، كما يقوم على استخدام أنظمة خاصة بعلامات تواصلية منطوقة بين الأفراد (بلوم فيلد) وكذلك الطريقة التي ينقل بها الخبر (سينون وويفر)، وتواصل غير لساني: ويصنفه "بويسنسا" كلغات غير معتادة، تعتمد عدة معايير كالإشارية النسقية والإشارة اللانسقية، والإشارية المتعلقة بالشكل، كالإشهارات التجارية.

2- محور العلامة:

---

(1) عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1985، ص: 45.

(2) عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1996، ص: 86.

(3) المرجع نفسه، ص: 84-95.

وينطلق من توافق الدال والمدلول ويصنف العلامة إلى أشارة مثل الكهانة وأعراض المرض والبصمات، ومؤشر كعلامة اصطناعية وأيقونة، كرسالة أيقونية بين الشيء وأيقونة، والرمز كعلامة للعلامة (ريتو وموريس).

ويؤكد معظم الباحثين على أن الولادة الفعلية لسيميولوجيا التواصل كانت على بد "إيريك لويسنس" ومنهم أصحاب كتاب "مدخل إلى السيميولوجيا" حيث يقولون: « كان ميلاد سيميولوجيا التواصل مع "إيريك" الذي نشر عام 1943، كتاب "اللغات والخطاب محاولة في اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا" »[1]، ثم أتى أنصار "دوسوسيرّ في هذا الاتجاه ليضعوا شروطا سيميولوجيا التواصل، وأبرز هذه الشروط "القصدية"، إذ يجب « أن يتوفر القصد في التبليغ لدى المتكلم، وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد ».[2]

من هنا نستنتج أن مهمة السيميولوجيا عند أصحاب هذا الاتجاه تكمن في البحث عن طرق التواصل.

– سيمياء الدلالة:

لقد جاء هذا الاتجاه كرد فعل على أصحاب سيميولوجيا التواصل، والرائد الأول هو الفرنسي "رولان بارث" الذي قلب الاقتراح السويسري القائل بجزئية اللسانيات من علم العلامة ليؤكد في كتابه "درس في السيميولوجيا" أن « السيميولوجيا نفسها استمدت مفاهيمها الإجرائية من اللسانيات التي أصابها التفكيك والتفويض ».[3]

---

(1) دليلة مرسلي، فرانسوا شوفالدون، مارك بوفان:، جان موصليت، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص: 14.

(2) رشيد بن مالك: السيميائية، أصولها وقواعدها، ص: 192.

(3) مختار ملاس: دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث، عبد الله البردوني نموذجا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د.ط)، وحدة الرغاية، الجزائر، 2002، ص: 12.

ويؤكد "رولان بارث Roland Barth"، أن علم الدلالة يعالج كل الشفرات التي تمتلك بعدا اجتماعيا حقيقيا، حيث يقول: « ومما لا مراد فيه أن الأشياء والصور والسلوكات قد تدل بغزارة، لكن لا يمكن أن تفعل ذلك بكيفية مستقلة، إذ كل نظام دلائلي يمتزج باللغة ».[1] وهذا ما حدا ببارث إلى أن يسند مهمة التواصل إلى أنساق اللغة وإلى الأشياء على حد سواء.

يولي "بارث" أهمية كبيرة للغة ويظهر ذلك في قوله: « أن اللغة هي مؤول كل الأنساق أيا كان نوعها ».[2]

وتتوزع عناصر الاتجاه السيميائي الدلالي على أربع ثنائيات مستقاة من الألسنية البنيوية:[3]

1- اللغة والكلام.

2- الدال والمدلول.

3- المركب والنظام.

4- التقرير والإيحاء.

لقد كانت هذه أهم العناصر التي قامت عليها سيمياء الدلالة، حيث أسهب "بارث" في شرحها في كتابه "مبادئ في علم الأدلة".

---

(1) رولان بارث: مبادئ في علم الأدلة، ت: محمد البكري، كلية الآداب، (د.ط)، مراكش، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص: 28.

(2) فريد أمعضشو: المنهج السيميائي، الموقع: ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب، 2010/07/08.

(3) رولان بارث: مبادئ في علم الأدلة، ت: محمد البكري، ص: 33.

- سيمياء الثقافة:

تمخض الاتجاه السيميائي الثقافي عن الأعمال المنهجية لجماعة (موسكو تارتو 1962)، التي ضمت (يوري لوتمان، إيفانوف، بوريس توبروف، بياتيجورسكي روسي، لاندي...)، ممن قالوا بتآلف العلامة من وحدة ثلاثية المبنى: الدال والمدلول والمرجع.

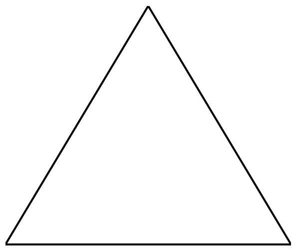

ويؤيد أنصاره على أن الإنسان والحيوان كذلك الآلات، تلجأ إلى العلامات التي يتعقد منها ما يستعمله الإنسان، والبشر يودعون في اللغة نظرتهم للعالم وفق أنظمة منمذجة في شكل تصور ذهني، لذلك « فإن العالم بأسره ممكن أن يتبنى ضربا من نص يتألف من أنواع شتى من العلامات حيث المضمون محتوم وتكفي فحسب معرفة اللغة، يعني معرفة العلاقة بين عناصر التعبير وبين عناصر المضمون ».[1] ويذهب لذلك إيفانوف الذي يؤكد على الجانب التواصلي إلى جانب النمذجة.

ويضيف أنصار سيمياء الثقافة أن العلامة لا تكتسب دلالتها، إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة (كأنظمة دالة)، ومن الأطروحات الجوهرية لهذا الاتجاه مايلي:

- تقوم الأنظمة السيميائية بأداء دورها على أساس الوحدة.
- يمكن أن تشكل ثقافات عديدة وحدة سياقية بنائية.

[1] يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي: (حول الآلية السيميوطيقية للثقافة)، تر: عبد المنعم تليمة، ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس العصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1987، ص: 302.

- يحمل معنى النص دلالات متكاملة، وليست كل رسالة نصا ثقافيا.

- النص علاقة متكاملة يمكن أن تجزأ فقط إلى خواص وملامح متميزة.

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الاتجاه الثقافي يعتبر النص رسالة تبث باللغة الطبيعية وتحمل معنى متكاملا: رسم، عمل فني، مؤلف موسيقي، معماري... إلخ. [1] وهو ما حاول النقد الثقافي بقيادة (فنسنت ليتش) أن يصل إليه، فالنص في ظل هذا النقد « لم يعد نصا أدبيا جماليا فحسب، ولكنه أيضا حادثة ثقافية ».[2] وهو تقارب مع طرح "جوليا كريستيفا" التي تعتبره لغات تنقل رسالة مشفرة من مرسل إلى متلقي.

يمكننا القول بأن هذا الاتجاه من السيميولوجيا ينطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنظمة دلالية.

2-3 التأويل:

بعدما تعرضنا لدراسة الاتجاه السيميائي والتفكيكي، نأتي الآن من أجل دراسة اتجاه ثالث وهو "التأويل".

يقول "أمبرتو إيكو Umberto Eco": « والذين صعبوا هذا البحث في رحلته الفكرية الخصبة يدركون جيدا أن هذه الصياغة تعود في أصولها الأولى والأساسية إلى التراث الذي خلفه السيميائي "شارل ساندرس بيرس"، خاصة ما يتعلق منه بسيرورة إنتاج الدلالة واشتغال العلامات، فالمتناهي واللامتناهي، والنمو اللولبي للعلامة، وحركية الفعل التدليلي،

---

[1] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص: 107، 111.

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2001، ص 78.

والسيميوزيس، كلها مفاهيم تقودنا إلى وضع أسئلة تخص حجم التأويل وكثافته وأبعاده وأشكاله».[1]

كما توجد بعض القضايا التأويل عادة ما تشتمل على معطيات عرفت بانتمائها إلى ما يطلق عليه « بالتفكيكية أو التأويل المضاعف، وأخرى تدرج نفسها ضمن ما يطلق عليه بالسيميوزيس التأويلية ».[2]

وبالنظر إلى الجذور التاريخية والفلسفية للتأويل نجد تقاطعات فيما بينه وبين السيميائية والتفكيكية، ومنه علينا القول بأن كل من السيميائية والتفكيكية، والتأويل، تربطهم علاقة من أجل الكشف عن خبايا النص الأدبي.

أ- تعريف التأويل:

تفيد المعاجم أن لفظ التأويل Herméneutique، « بمعنى الشرح والترجمة والتعبير، ويحيل إلى الإله هرمس، إله الرسائل الذي يحيا متنقلا بين الآلهة والبشر، ويرمز إلى تداول المعاني والأفكار، أما الفعل فيعني تكلم، أو أول، أو غير، أو أفصح، أي يشير إلى فعل الكلام بما هو ترجمة الفكر وتبليغ للآخرين باللغة ».[3]

والتأويلية Herméneutique « بالإغريقية Herméneutike، ومنطقية، وتصويرية، ورمزية، واستعارية، وتنطبق جملة هذه الوسائل على النصوص قصد تحليلها وتفسيرها وإبراز

---

(1) أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ت: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، بيروت، 2004، ص: 10.

(2) المرجع نفسه، ص: 12.

(3) زواوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2005، ص: 110.

القيم التي تختزها، والمعايير والغايات التي تحيل إليها، وعليه تعني Herméneutique فن التأويل وتفسير وترجمة النصوص».[1]

والتأويل في أدق معانيه « هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل، وإعادة صياغة المفردات والتراكيب من خلال التعليق على النص ».[2]

وهذا التعريف لا ينفك يضيف تعاريف أخرى، إذ أن التأويل يولي عناية لإيضاح « المقاطع الغامضة وغير المستعابة في النصوص، لأن المعنى الجلي والواضح لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، قد يحتاج إلى تأويل يكون معقولا ».[3]

والتأويل أو الهيرمينوطيقا هو « نشاط لغوي وفكري يتعلق بالترجمة والتفير، ومعناه الرجوع إلى التشكيلة الأولى لتفسير ملابسات انبثاقها وفهم محتوياتها، والتأويل هو النظر فيما تؤول إليها الأشياء، أي صيرورتها والقيم الوجودية، والمعرفية والجمالية التي تتصف بها ».[4]

نستطيع القول بأن فن التأويل " Herméneutique " يختلف عن التأويل "Interprétation"، ويذهب "فريديريك شلايرماخر" " Sch leier macher" « إلى أن فن التأويل هو طريقة الاشتغال على النصوص من أجل تبيان بنيتها الداخلية والوصفية، والبحث عن الحقائق المضمرة في النصوص ».[5]

---

[1] محمد شوقي زين: تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص: 51.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط4، بيروت، لبنان، 2005، ص: 88.

[3] محمد شوقي زين: الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2008، ص: 30.

[4] المرجع نفسه، ص: 44.

[5] محمد شوقي زين: تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص: 50.

وهدف نظرية التأويل هو « تصميم مشكل الهيرمينوطيقا على جملة الممارسات الفردية والاجتماعية والتصورات والأفعال والمقاصد، بمعنى يهدف إلى فهم صحيح للتجربة الإنسانية برمتها ».(1)

يقول "أمبرتو إيكو Umberto Eco" « كأني بالتأويل بعيد ويحاول تأسيس ذاكرة قادرة على التحول إلى معرفة، فإذا كانت شعلة التأويل في الأزمنة الغابرة فهناك اليوم لذة أكبر في استقبال تأويل جديد بوجود وكيان جديد، وجود شقي لا تحكمه حدود ولا تخوم، إذ هناك في تاريخ الفكر ميل متقادم لفهم التأويلية وتطويرها مهما كان هذا الميل فإنه لم يفد في طبيعة منشئ بقدر ما صحح نظرة العلم إليها، فسر الخلود بالنسبة للتأويل لا يكون إلا في صورة رفض للتأويل نفسه وإن ما يضمن حياة التأويل هو أن لا نؤمن بوجود تأويلات لأن البحث عن عمق تأويلي يشكل وحدة كلية تنتمي إليها كل الدلالات سيظل حلما جميلا من أجله تستمر مغامرة التأويل، حتى وإن كان الوصول إلى هذه الوحدة أمرا مستحيلا ».(2)

ب- بين التفسير والتأويل:

بين التفسير والتأويل مواطن التقاء وافتراق، من مواطن الالتقاء أن كليهما يسعى للكشف عن معنى النص وقصدية المؤلف، فالمفسر يقع على عاتقه عبء تفهم النص وإفهامه من خلال البحث عما تعنيه الكلمات أو ظاهرة اللفظ والمؤول لا يكتفي بل يسعى إلى تجاوز قصدية المؤلف إلى البحث عما وراء ظاهر الكلمات أي إلى البحث عن الرموز الكامنة في النص. (3)

---

(1) محمد شوقي زين: الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، ص: 45.

(2) أمبرتو إيكو: بين السيميائيات والتفكيكية، ص: 12.

(3) ينظر: بسام قطوس: مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، مصر، 2006، ص: 201.

ج- الجذور:

لقد كان مصطلح "الهيرمينوطيقا Herméneutique في الأصل مصطلحا مدرسيا لاهوتيا، فقد بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية يشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس). [1]

ويعود قدم مصطلح الهيرمينوطيقا إلى سنة 1654 حسب رأي "نصر حامد أبو زيد" ثم اتسع مفهومه لينتقل إلى مجالات عديدة كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وفلسفة الجمال « فكل ظاهرة يتطلب معناها تغييرا، إذ أن الاغتراب الذي نستشعره إزاء معنى ديني ما، يمكن بالمثل أن نستشعره إزاء معنى آخر نواجهه في موقف ما، ولا نكون قادرين على أن نجعله متوافق مع عالمنا أو مندمجا فيه ».[2]

كما تعود جذور الهيرمينوطيقا « إلى التأويلات الرمزية التي خضعت لها أشعار "هومر" في القرن السادس قبل الميلاد ».[3]

لقد تبلور مفهوم الهيرمينوطيقا بشكل أوضح بعد خروجه من دائرة اللاهوت على يد الفيلسوف "شلايرماخر" إذ يعد أول من نقل هذا المصطلح "الهيرمينوطيقا" إلى علم أو فن لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص، واعتبر « أن النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ ».[4]

فالهيرمينوطيقا عنده هي « فن الفهم أي إدراك المعنى المتواري في ثنايا الخطاب ».[5]

---

[1] ينظر: نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 6، الدار البيضاء، المغرب، لبنان، 2001، ص: 13.

[2] سعيد توفيق: ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص: 87.

[3] ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ص: 47.

[4] نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص: 20.

[5] محمد شوقي زين: تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، ص: 31.

وعليه حاول تأسيس تركيب أو تأليف للفهم، فالتأويل في نظره فن الفهم غير أن مشكل الفهم عنده لا يتعلق بفهم عادي وفهم أفضل للنصوص.

لأن فهمه هذا يتأرجح بين ما يطلق عليه "شلايرماخر" "بالتأويل التقني" والذي يقصد به الدلالة الذاتية أو الفردية، فمجال الفرد شامل شمول الحياة ووظيفته هي تدليل الحياة الفكرية المنجمة حول النصوص أو الواقع وتفسيرها وشرحها، أي البحث في مقصدية الكاتب المتوارية في النص، والدلالة الفردية، المتأتية من الفرد هي غير الدلالة الموضوعية أو ما يسميها "شلايرماخر" "بالتأويل النحوي"، فهو يرى بعجز الآراء الذاتية وضرورة إمعان النظر فيما يجري خلف كواليس الذاتية من أجل القدرة على صوغ أفكار دقيقة تكشف وتعرى من الرأي السليم الذي يخدم الأغلبية فهو يدرس اللغة تبعا للاستعمال الاجتماعي العام. (1)

وعليه فالفهم عند "شلايرماخر Schleiermacher" « نوعان فهم غير صارم: يتجنب من خلاله عدم التفاهم، وفهم صارم: يقر بحقيقة عدم التفاهم كظاهرة عادية وطبيعية وينصب اهتمامه على البحث عن فهم مشترك ».(2)

أما "مارت هايدغر" فقد نقل مشكلة التأويل من الطرح السيكولوجي إلى الطرح الوجودي. حيث خلص إلى نتيجة تقول أن الوجود الإنساني هو وجود مؤول بمعنى وجود يتجسد في اللغة باعتبار أن التأويلات هي خطابات لغوية وبناءات متشكلة في اللغة. (3)

إن الهيرمينوطيقا عند "هايدغر" « هي انعتاق في اللاموجود فهي تنتمي إلى نوع من الفلسفات أو العلوم السائدة في عصره، بل هي تنطلق من الوجود نحو اللاموجود فهي مكينة حرب ضد استيلاب الوعي في كينونة الوجودية، هذا الاستيلاب ... من صنع الهوية ... ومن

(1) المرجع نفسه، ص: 53.

(2) محمد شوقي زين: الإزاحة والاحتمال، ص: 32.

(3) المرجع نفسه، ص: 58.

أداء الغيرية .. لهذا جاءت الهيرمينوطيقا لدى هايدغر تقنية في الفهم بمعنى هذه الاستيلابات التي تحول الوعي دون تحقيق كينونته وسبق مشاريعه».[1]

ثم يأتي « "هانز جورج غادامير" مؤسس التأويلية الفلسفية في أواخر السبعينات من القرن العشرين حيث أصبحت موضوع النقاشات العلمية والفكرية، وحديث غادامير عن عالمية التأويل هو اعتبار لأن الوعي متواجد في العالم كمشاريع غير مكتملة، إذ الفهم هو يقظة وجودية يدرك ذاته كعنصر تاريخي ».[2]

إن غادامير « لم ينطلق في تأويليته الفلسفية من العدم بل عكس ذلك فقد بناها على التطورات والحركات التي سبقت منهجيته، فقد كانت الفلسفة التأويلية قبل غادامير تسيطر عليها صفة العلمية، وذلك كون الفلسفة بمفهومها الواسع تعني العلم وهذا العلم الأكيد منه أنه لا يقتصر على الجانب النظري والتطبيقي فقط، وإنما هي علم يزاوج بين الجانبين النظري والتطبيقي، وبما أن التأويلية أضحت فلسفة فإنها على ذلك تكتسب صفة العلمية ».[3]

أما إذا انتقلنا إلى "بول ريكور" نجده ينفي وجود علم تأويل عام أو نظرية شاملة للتفسير، إذ يقول «ليس هناك علم تأويل عام، ليس هناك قانون شامل للتفسير، هناك فحسب نظريات متباينة ومتعارضة بشأن أسس التفسير، وإن الميدان التأويلي الذي تتبعه حدوده الخارجية هو داخليا على خلاف مع نفسه، وليس لدي النية ولا الأدوات لمحاولة إحصاء كامل للأساليب التأويلية ».[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص: 6.

[2] محمد شوقي زين: الإزاحة والاحتمال، ص: 86.

[3] زواوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2005، ص: 115.

[4] حسن حنفي: الهيرمينوطيقا والتأويل، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص: 202.

وقد وضع منهجا للتفسير أساسه تفسير الرموز، ويتم هذا وفق طريقتين: [1]

1- التعامل مع الرمز باعتباره نافذة تطل منها عالم المعنى، يمثل هذه الطريقة "بولتمان".

2- التعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق بها، بل علينا إزالتها للوصول إلى المعنى الزائف، والكشف عن الباطني منه، مثل الوعي عند "فرويد" الذي يخفي وراءه اللاوعي.

أما "أمبرتو إيكو" رائد التأويل في العصر الحديث يعالج قضايا التأويل وفق « تصور يرى في التأويل وأشكاله صياغات جديدة لقضايا فلسفية، ومعرفية موغلة في القدم، فمجمل التصورات التأويلية التي عرفها قرننا هذا، لا تفسر إلا بموقعها من "الحقيقة" كما تصورها الإنسان، وعاشها، وصاغ حدودها أحيانا على شكل قواعد منطقية صارمة، وأحيانا أخرى على شكل إشراقات صوفية، واستبطانية لا ترى في المرئي والظاهر، سوى نسخ لأصل لا يدركه الحس العادي ولا تراه الأبصار ».[2]

ومهما يكن فالملاحظ أن هذه السلسلة المتصلة من الباحثين تشابكت عبر التاريخ، وأنتجت عدة مفاهيم ومدلولات عن هذا العلم فلسفيا تاريخيا ونفسيا وعلميا.

وفي ختام هذا الفصل النظري نستنتج أن مصطلح ما بعد البنيوي، جاء نتيجة موت البنيوية وبقيادة مجموعة من النقاد هم في أصلهم بنيويين، وذلك من أجل إعطاء القارئ حقه في استنباط الدلالات القابعة وراء ستائر الكلمات.

---

[1] نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص: 44.

[2] أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، بيروت، 2004، ص: 10.

الفصل الثاني: استقبال النقد ما بعد البنيوي عربيا وجزائريا.

1- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي عند العرب.

1-1- تعامل النقاد العرب مع المصطلح ما بعد البنيوي.

1-1-1- تلقي المنهج التفكيكي.

1-1-2- تلقي المنهج السيميائي.

1-1-3- تلقي المنهج التأويلي.

2- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي في كتابات عبد الملك مرتاض.

2-1- استقبال المنهج التفكيكي.

2-2- استقبال المنهج السيميائي.

2-3- استقبال المنهج التأويلي.

1- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي عند العرب :

1-1- تعامل النقاد العرب مع المصطلح ما بعد البنيوي:

لقد ساهم فعل الترجمة بشكل كبير في تطور مرحلة ما بعد البنيوي واستقبال العرب للمناهج النقدية المعاصرة، حيث ذهب البعض إلى سياقات منهجية يمكن تحديدها، في حين اتجه البعض الآخر إلى تقييم نشاطه النقدي على مزيج من المناهج والتيارات، والنقاد في كلتا الجهتين يجتمعون في سمات عامة تشكل في مجموعها الصورة الكلية للاستقبال النقدي العربي للنقد الغربي المعاصر، كما نجد علاقة تفاعل فيما بين النقد العربي والنقد الغربي، لأنه لا توجد ممارسة عربية نقدية بالفعل، تستطيع إثبات حضورها خارج النقد الغربي، بل كل الممارسات كانت نتيجة التأثر بها بما هو آت من النقد الغربي.(1)

والنقد الأدبي متأثر بالغرب كما قال "حسام الخطيب": « تجاهل دورها (المؤثرات الغربية)، تجاهل لشيء جوهري في تركيب الساحة الأدبية العربية المعاصرة ».(2) والنقد يستقبل هذه المؤثرات الغربية من خلال إعطائها موضوعا يخضع هو الآخر للقارئ، وهذا الاستقبال يضمن تصفية ماهو آت من أجل إعطائه طريقا للدخول إلى النقد العربي.

وهذا الدخول الذي يتم عن طريق المترجم أو الباحث العربي، فيما يبحث ويتلقي عن الثقافة الغربية نجد فيه احتراما كبيرا يكنه الناقد لذلك المصدر، بحيث أنهم حاولوا جعل عملية النقل زجاجا شفافا يمرر المعرفة دون أن يؤثر فيها، وهذا نتيجة الإعجاب والانبهار بثقافة الآخر.

---

(1) ينظر: سعد البازعي، استقبال الآخر (الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص 134-135.

(2) محمد ولد بوعلبية، النقد الغربي والنقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص 34.

ومن أبرز سمات هذا الإعجاب الذي يتم عن طريق الاستقبال هو تبني وجهة نظر الآخر يوصفها وجهة نظر عالمية، ويمكننا وصف هذا التفاعل مع الغرب على أنه نوع من الاستقبال بالمعنى المزدوج للاستقبال:

أ- استقبال بمعنى التلقي والسعي إلى التفاعل البناء.

ب- استقبال بمعنى اتخاذ المكان أو الجهة قبلة، أي إبراز خضوع الكثير من نقدنا لمقولات ونظريات ومناهج ليست مناسبة دائما، أو بالشكل الذي استقبلت به، ولم تستوعب في الغالب كما ينبغي.[1]

« ومن التناقضات في التفاعل العربي مع النقد الغربي يمكننا تفسيره بالرجوع إلى تلك النزعة الإنسانوية وغياب الضبط المصطلحي، نتيجة الاستعجال في تطبيقها على النصوص العربية دون تمحيص ودرس، ومجرد إدعاء الحداثة يتبنى اكبر عدد من المناهج دون هضمها».[2]

ويرى "عبد العزيز حمودة" « بأن الغموض والاضطراب الذي يقابلنا في النصوص العربية الحداثية ما هو إلا نتيجة عدم فهم المصطلح المنقول، والخطأ في تطبيقه على النص العربي، إذ يجد نفسه في عزلة من النص، لأن هذا الاضطراب يعود في أصله إلى اضطراب المصطلح الغربي من الغربيين أنفسهم ».[3]

---

(1) محمد ولد بوعليبة، النقد الغربي والنقد العربي، ص 5.

(2) سعد البازعي، استقبال الآخر (الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 184.

(3) محمد زغلول سلام، النقد الأدبي المعاصر (البنيوية وما بعدها)، ج 2، منشاة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 2007، ص 87-88.

يمكننا القول بأن النسخة العربية للنقد ما هي إلا نسخة غربية، فالنقاد يستخدمون المصطلح النقدي الغربي بكل دلالته. وإذا ما حدث وجردناه من دلالته الغربية، فإننا نجد أنفسنا أمام غرابة المصطلح مما يخلق فوضى النقد (إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر).

1-1-1 تلقي المنهج التفكيكي:

لقد لقيت التفكيكية رواجا كبيرا في الساحة النقدية العربية بفضل انتشار الترجمات العديدة لمؤلفات "رولان بارث" و"جاك دريدا".

من هنا يمكننا القول بأن مصطلح التفكيكية Déconstruction، من بين المصطلحات والمفاهيم التي انتقلت إلى النقد العربي، من خلال الترجمة والتعريب، فقد ظهر هذا المصطلح عند العرب منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي، بعدها انتقل إلى الدرس النقدي العربي المعاصر، ولكن هذا الانتقال كان محتشما ومتأخرا.

لقد اختلف العديد من النقاد والدارسين العرب في ترجمة هذا المصطلح الغربي، فمنهم من اختار التفكيك فعلى سبيل المثال نذكر:

- التفكيكية عند عبد الله محمد الغذامي:

يعلن الغذامي التفكيكية أو التشريحية بكل فخر، في دراسته الرائدة (حمزة شحاتة) إذ يقول: « جعلت النهج التشريحي سراجا يعينني على الثبات على صهوة النص السابح، ويمكنني من السباحة معه، وبذا تمارس الإشارات حريتها، وتنطلق في تأسيس شفراتها ».[1]

أي أن كل قراءة هي عملية تشريح للنص، وكل تشريح هو محاولة استكشاف وجود جديد لذلك النص من خلال البحث عن الدلالات اللانهائية.

---

(1) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، ط1، مصر، 1985، ص 88.

ومن هنا يتضح أن « تشريحية "الغذامي" تختلف عن تشريحية "دريدا"، فهو يبتعد عن منهج دريدا الذي ينقض من أجل النقض، ليقترب من منهج "رولان بارث" الذي ينقض من أجل إعادة البناء ».[1]

والملاحظ على « المنهج الغذامي، أنه منهج تركيبي (بنيوي، سيميائي، تفكيكي)، يفيد من تفكيكية دريدا حينا وبارت أحيانا ولكنه يطعها بروح نقدية خاصة من شأنها أن تعارض التفكيكية نفسها (كقوله بالبناء بعد التفكيك واعتداده بالنظام البنيوي...) ». [2]

وقد واصل الغذامي هذا المشروع النقدي في كتب لاحقة مرتبطة بمنهج واضح يقوم « على النقد الألسني أو النصوصية، معتمدا بذلك على ما يعرف بنقد ما بعد البنيوية، وهو نقد يأخذ من البنيوية والسيميولوجية ومن التشريحية منظومة من المفهومات النظرية والإجرائية تدخل كلها تحت مظلة الوعي اللغوي ».[3]

- التفكيكية عند نقاد آخرين:

ومن النقاد العرب الذين تناولوا هذا المصطلح « نعصر على دراسة عربية تفكيكية واضحة، مغلفة بمفاهيم "نظرية القراءة"، على النحو الذي نجده عند حسين الواد، الذي قدم تجربة قرائية سماها القراءة والنصوص، أو جدلية العد والانعتاق، إضافة إلى تجارب قرائية أخرى أشار إليها "فاضل ثامر"، في دراسته "من سلطة النص إلى سلطة القراءة" ».[4]

---

(1) يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 161.

(2) المرجع نفسه، ص 162.

(3) بعد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة، (مقالات في النقد والنظرية)، دار سعاد الصباح، ط2، الكويت، 1993، ص 101.

(4) يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 163.

ومن جهة أخرى نجد "يوئيل يوسف عزيز" « قد ترجع المصطلح في كتابه "وليم راي" المسمى (المعنى الأدبي: من الظاهراتية إلى التفكيكية) مصرحا في مقدمة كتابه ترجمت أيضا بلفظة التحليلية البنيوية، ولكن لفظة التفكيكية أقرب ».[1]

فيما ذهب "عبد الله إبراهيم" إلى معالجة المصطلح كمفهوم ونظرية في أوسع مجال من مذكرته النقدية حيث « ترجم هذا المصطلح " Déconstruction" بالتفكيكية، كمصطلح يدل في المستوى الأول على التهديم، والتخريب، والتشريح وهي دلالات تقترن عادة بالأشياء المادية المرئية، ولكن في معناه الدلالي العميق يدل على تفكيك الخطابات وإعادة النظر إليها ».[2]

في حين ذهب "سعيد علوش" « إلى ترجمة مصطلح (تفكيك) عن اللفظ الفرنسي "Déconstruction" الدال على "التفكيكية" لدى "جاك دريدا" وهذا ما اقترحه كذلك عبد السلام المسدي في مؤلفه (الأسلوب والأسلوبية) ببعض الاختلاف البين، لأن أصل المصطلح الفرنسي لديه هو Le décodage».[3]

ومن المقابلات الأخرى التي وجدت في الكتابات العربية لمصطلح " Déconstruction" نذكر « اللابناء، النقد اللابنائي، اللذين استعملهما "شكري عزيز ماضي" في سياقات موضعية من أحد كتبه، وواضح أنهما لا يعدوان أن يكونا ترجمة حرفية للكلمة الأجنبية ».[4]

أما "محمد الصالح الشنطي" فقد نقل المفهوم عن باحث سعودي هو "عابد خزندار"، الذي ميز بين مصطلحات ومفاهيم نقدية أبرزها: [5]

1- القراءة التفويضية "Destructive reading"

---

[1] مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد، اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 2005، ص 208.

[2] مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي، ص 208.

[3] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009، ص 182.

[4] المرجع نفسه، ص 183.

[5] مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي، ص 210.

2- القراءة النقضية "Déconstruction"

3- ومنه جاز الترجيح بمصطلح "تقويض" كمصطلح عربي أصيل.

مصطلح التفكيكية "Déconstruction":

عبد الملك مرتاض	تشريحية	بنية الخطاب الشعري (العنوان) ص 50
	تقويضية	القراءة وقراءة القراءة ص 201
	تفكيكية	أي دراسة الناقد الأدبي ص 49
عبد الله إبراهيم	تفكيكية	التفكيك والأصول والقواعد ص 45
	تهديم	
	تخريب	
	تشريح	
محمد صالح الشنطي	التقويضية	ملامح من المشهد النقدي المحلي ص 35
	النقضية	
عبد الله الغذامي	تشريحية	الخطيئة والتكفير ص 50 أو تشريح النص ص 71 أو ثقافة الأسئلة ص 200
سعيد علوش	التفكيك	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص 97
يوئيل يوسف عزيز	التحليلية البنيوية	وليم راي (المعنى الأدبي من الظاهرتية إلى التفكيكية

من خلال هذا الجدول نلاحظ تعدد مقابلات المصطلح " Déconstruction" لدى الناقد الواحد كما هو الحال عند عبد المالك مرتاض (تشريحية، تفكيكية، تقويضية) وعبد الله إبراهيم (تخريب، تفكيكية، تهديم، تشريح).

2-1-1 تلقي المنهج السيميائي:

تعد السيمياء علما من العلوم، أو هي العلم كله في منظور بعض الاتجاهات السيميائية وفي تصور "دي سوسير"، باعتبار اللسان نسق دلائل معبرة عن أفكار، شبيه بالكتابة، أبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية، وأشكال آداب السلوك والعلاقات البحرية، مما لزم علينا النظر في هذه الأشكال وتصورها في علم واحد يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، ودراسته في علاقته بالأدب والنقد.

لقد شهد الفكر الأدبي العربي منذ مطلع الثمانينات تحولا كبيرا سواء على مستوى مرجعياته أم طرائق تعامله مع النص الأدبي، وتوظيفا لمصطلحات ومفاهيم عديدة من حيث بنيتها وتركيبها ودلالتها، ويبدو مثل هذا التحول على صعيد اللغة النقدية العربية يتأسس إجمالا على ما تقدم له اللسانيات والسيميائيات.

والمصطلح السيميائي واحد من المصطلحات التي ولجت إلى الدراسات العربية في العصر الحديث، نتيجة الاحتكاك بالنقد الأدبي العالمي، والرغبة في تجاوز المفاهيم التقليدية التي سادت النقد القديم إلى مفاهيم حداثية تنفتح على آفاق المعرفة العلمية.

إن وضع المصطلحات السيميائية في الوطن العربي، مختلف تماما عما مرّ عليه في أوروبا، لم يرق بحكم التضارب المرجعي في المصطلحات المستعملة إلى بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق يضبط مفاهيمه وأدواته الخاصة به سلفا إلى درجة أن أصبح موضوع تداخل المصطلح اللسانياتي والسيميائي بالنقد موضع أخذ عنه كثيرا من الباحثين. [1]

« عند استقراء واقع المصطلحية السيميائية العربية، ومدى محظوظية المصطلح من هذا التداخل والانتقال بالمصطلح الفرنسي إلى النموذج العربي والاختلافات بين الباحثين العرب

[1] ينظر: مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد، ص 123.

أنفسهم، كما تؤثر سلبا في تبليغ الرسالة العلمية وتفسر جانبا من جوانب الفشل في عملية التواصل بين القارئ العربي " المتلقي"، ومن هذه التسميات المختلفة لدى العرب نجد:

لقد كثرت التسميات العربية لهذا المصطلح ما يقارب ستة وثلاثون مصطلحا عربيا، يمكننا حصرها فيمايلي: السيميائية، السيميوية، السيميوتية، السيميات، السيامة، السيماتية، السيمياء، علم السيمياء، السيميولوجيا، الساميولوجيا، علم السيمانتيك، علم السيميولوجيا، السيميوطيقا، السيميوتيكا، السيميوتيكية، علم الرموز، الرمزية، علم الدلالة، علم الدلالات، الدلائلية، الدلائليات، علم الدلائل، علم الأدلة، علم الدلالة، علم العلاقات، علم الإشارات، نظرية الإشارة، الأعراضية، دراسة المعنى في حالة السنكرونية، ولكن هذه التسميات أحدثت فوضى على القارئ ».[1]

- السيميائية عند منذر عياشي:

ترجم الباحث "منذر عياشي" مؤلفا باسم "علم الإشارة"، السيميولوجيا لصاحبه "بيير جيرو"، الصادر بتاريخ 1988، وهو المؤلف الذي يشكل دراسة متميزة في التفكير السيميولوجي، وضبط التيارات التي تنطوي تحتها، كما يعد نقطة معلمية للحبوث السيميائية الراهنة وخلفية علمية أساسية لكل قارئ يطمع لامتلاك معرفة لهذا المصطلح. [2]

فرق الباحث بين مصطلحين سيميوتيك وسيميولوجية وسلم بمصطلح السيمياء كمصطلح قديم في التراث العربي، رديف للمصطلحين الأجنبيين، وهو تطابق استمده من قراءاته المعاجمية في "القاموس الموسوعي في نظرية الكلام" لديكرو وتودوروف في كتابهما الجماعي، وقراءته في معجم "جان ديبو الألسني مع العلم أن الكتاب ألف في فترة المد البنيوية. [3]

---

(1) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009، ص 107-108.

(2) ينظر: مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد، ص 129.

(3) المرجع نفسه، ص 129.

- السيميائية عند عزت محمود جاد:

ذكر "عزت محمود جاد" « ما يقرب عن الستة أصوات دالة للمصطلح هي: السيمياء، السيمية، السيميائية، السيميوطيقا، السيميولوجيا، والرمزية ».[1] ويورد أيضا « أن "معجب الزهراني" أكد على وجود أكثر من ثمانية أصوات دالة لـ Semiotics، ويورد ترجمة غربية لأحدهم بالأعراضية، اعتمادا على مرجعية دلالية كانت سائدة في اللغة الطبية للقرنين السادس عشر والسابع عشر ».[2]

- السيميائية عند الطيب بكوش:

يترجم الطيب بكوش « المصطلح إلى "الدلائلية" ويظهر ذلك من خلال ترجمته لكتاب مفاتيح الألسنية لجورج مونان وهو ما يفعله "المنصف عاشور" أيضا ».[3] لكننا نلاحظ أن مصطلح الدلائلية لا يؤدي المعنى الكامل لمفهوم المصطلح، لأنه يقترب أكثر من "علم الدلالة" وبالتالي قد يحدث خلط بين العلمين.

- السيميائية عند الغذامي:

يعد "عبد الغذامي" من النقاد الذين عربوا مصطلح السيميولوجيا حيث يقول: « هو تعريب سليم ولا اعتراض عليه، لولا أنني وجدت مشكلة في النسبة إليه حيث استعصى علي أن أقول مثلا: تحليل علاماتيا بدلا من تحليل سيميولوجي، ووجدت الإفراد غامض الدلالة فيما لو قلت "تحليلا علاميا" ويفضل استعمال مصطلح السيميولوجيا على غيره من المصطلحات فيقول: استخدم عن كره مصطلح السيميولوجيا منتظرا مولد مصطلح عربي يحل محلها ».[4]

---

[1] عزت محمود جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، (د.ت)، ص 236.

[2] المرجع نفسه، ص 236.

[3] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، ط1، مصر، 1985، ص 45.

[4] المرجع نفسه، ص 44-45.

- السيميائية عند صلاح فضل:

يفضل صلاح فضل المصطلح الغربي دون ترجمة أو تعريب حيث يقول: « ولكننا نرى من الأفضل إطلاق الاسم الغربي، لأن النقل أولى من الاشتقاق في استحداث الأسماء الجديدة، إذا كان هذا الاشتقاق سيؤدي إلى الخلط ».[1]

ويعرف صلاح فضل السيميائيات بقوله: « هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة ».[2] فهو يشترط أن تكون الإشارات المدروسة ذات دلالة.

- السيميائية عند مازن الوعر:

إن مازن الوعر خصص في مجمل تآليفه لترجمة بعض المصطلحات اللسانياتية والسيميائية، وتحدث عن أزمة المصطلح العلمي اللسانياتي قائلا: « نحن العرب لازلنا نبحث الآن عن إيجاد المصطلح الليسانياتي المقابل الذي يمثل فترة التطور اللسانياتي الغربي في الخمسينيات والستينيات من هذا العصر مع العلم أن مئات المصطلحات اللسانياتية قد تولدت في السبعينات والثمانينات نتيجة التقدم الذي أحرزته العلوم اللسانياتية في الغرب ولا سيما في الولايات المتحدة ».[3]

1-2 أزمة تعدد المقابلات العربية للمصطلح:

توجد عدة مقابلات عربية للمصطلحين الأجنبيين Sémiotique و Sémiologie وهذا ما أكدته المعاجم العربية، حيث يثبت قاموس المنهل الترجمات التالية:

---

(1) عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2003، ص 5.

(2) المرجع نفسه، ص 20.

(3) مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد، ص 129.

- علم الأعراض، علم دلالات الأمراض:

Sémiologie ou Sémiotique-ling

- علامية لدراسة كل ما يتعلق بالعلامات والرموز مثل الأساطير والخرافات والطقوس وأشباهها.

- سيميائية Sémiotique adj (med) Sémiologique.

- علم الدلالات Sémioticien.

- نظرية الرموز والعلامات. [1] Sémiotique (math)

- علم الرموز Sémiologie.

- سيمياء، سيامة (علم الإشارات أو العلامات Sémiologie.

- علم الرموز، علم العلامات Sémiotique (nf).

- سيميائية (علم يبحث في الرموز اللغوية وغير اللغوية).

- علاماتي. [2] Sémiologie (adj).

ما يؤخذ على النقاد العرب مقابلتهم لمصطلح أجنبي واحد بمجموعة من المصطلحات العربية، ومن الأمثلة على ذلك كثيرة نقلوا Sémiotique، Sémiologie بمبحث أعراض الأمراض و Sémiotique في قاموس المنهل بنظرية الرموز والعلامات.

---

(1) سهيل إدريس وصبحي الصالح، المنهل، قاموس فرنسي –عربي، دار الآداب، بيروت، 2005، ص 1111.

(2) بسام البركة، معدم اللسانية، فرنسي – عربي، مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية، منشورات جروس – بريس، ط1، بيروت، 1985.

الحقيقة ليس من السهل الفصل بين هذا الكم الهائل من المصطلحات التي توضع كمقابلات عربية ولمصطلحين أجنبيين اثين، ولتسهيل اطلاع القارئ على المصطلحات التي أشرنا إليها في معرض حديثنا عن المقابلات لكل من Sémiologie و Sémiotique، ولنتمكن من حصر الكم الهائل من المصطلحات ارتأينا أن نجمعهما في جداول كالآتي:

- مصطلح Sémiotique:

المقابل العربي	المترجم	المرجع
سيميائية	رشيد بن مالك عبد السلام المسدي	- السيميائية، مدرسة باريس، ص 143. - قاموس اللسانيات، ص 180.
علم الرموز	بسام بركة مبارك مبارك	- معجم اللسانية، ص 186. - معجم المصطلحات الألسنية، ص 262.
سيمياء	محمد مفتاح سامي سويدان عادل فاخوري فيصل الأحمر	- سيمياء الشعر القديم - في دلالية القصص وشعرية السرد - علم الدلالة عند العرب، ص 70. - الدليل السيميولوجي، ص 13.
سيميائيات	سعيد بن كراد محمد مفتاح عبد المالك مرتاض	- ترجمة كتاب (التأويل بين السيميائيات والتفكيكية) - تحليل الخطاب الشعري، ص 7. - تجليات الحداثة، ع 4، يونيو 1996، ص 23
السيميوتيقا	عبد المالك مرتاض	- تجليات الحداثة، ع 2، 1993، ص 15-17
السيميوتيكة	عبد المالك مرتاض	- النص الأدبي من أين وإلى أين، ص 02.
دلائلية	التهامي الراجحي الهاشمي	- معجم الدلائلية (فرنسي-عربي)، اللسان العربي، ص 250.

السيميوطيقا	سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد محمد الماكري	- مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات مترجمة ودراسات. - الشكل والخطاب، ص 39.
علم السيمياء	عادل فاخوري	- علم الدلالة عند العرب، ص 05.
علم العلامات	مجدي وهبه محمد عناني	- معجم مصطلحات الأدب، ص 507. - المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 153.
السيماطيقا	سمير حجازي	- قاموس مصطلحات النقد العربي المعاصر، ص 21.
الإشارية	عبد المالك مرتاض	النص الأدبي من أين وإلى أين، ص 21.
علم الدلالة	سامي سويدان	- في دلالة القصص وتسوية السرد، ص 11.
لسان الإشارات	خليل أحمد خليل	- معجم المصطلحات اللغوية، ص 97.
الدلائية	محمد البكري	- العرب والفكر العالمي، ع 1، ص 70.
علم السيميولوجيا	صلاح فضل	- بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 22.
علم الأدلة علم الدلالة اللفظية	الحاج صالح وآخرون	- المعجم الموحد، ص 129.

- مصطلح Sémiologie:

المقابل العربي	المترجم	المرجع
سيميولوجيا	رشيد بن مالك	السيميائية، أصولها وقواعدها.
سيميولوجيا	حنون مبارك محمد عناني رشيد بن مالك فيصل الأحمر	- دروس في السيميائيات، فهرس المصطلحات، ص 111. - المصطلحات الأدبي الحديثة، ص 153. - جون كلود كوكي، السيميائية، مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك،

		ص 143. – الدليل السيميولوجي.
علم العلامات	محمد عناني خليل أحمد خليل سمير حجازي عبد السلام المسدي	– المصطلحات الأدبية الحديثة. – معجم المصطلحات اللغوية عربي–فرنسي– انجليزي، ص 97. – المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، ص 49. – الأسلوب والأسلوبية، ص 182.
العلامية	عبد السلام المسدي	– قاموس اللسانيات، ص 186.
علم الرموز	علي القاسمي (وآخرون) مبارك مبارك	– معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص 82. – معجم المصطلحات الألسنية، ص 262.
العلاميات	محمد عبد المطلب منذر عياشي	– العلامة والعلاماتية. – العلاماتية وعلم النص.
الدلائلية	التهامي الراجحي الهاشمي	– معجم الدلائلية، ضمن اللسان العربي، العدد 24، ص 148.
علم السيميائيات علم الإشارات علم الدلالات	فيصل الأحمر	– معجم السيميائيات، ص 8.
الرموزية	مجدي وهبة سمير حجازي مبارك مبارك	– معجم مصطلحات الأدب، ص 507. – قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ص 82. – معجم المصطلحات الألسنية، ص 262.

علم العلاقات	محمد السعران	– أورده الحمزاوي في المصطلحات اللغوية الحديثة، ص 262.
دراسة المعنى في حالة سنكروتية	تمام حسان	– المعجم الحمزاوي، ص 263.
الأعراضية	يوسف غازي	– ترجمة المحاضرات في الألسنية العامة لدي سوسير، ص 27.
سيامة	بسام بركة	– معجم اللسانية، ص 186.
علم السيمياء	عبد الرحمان الحاج صالح وآخرون	– المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية، ص 129.
علم الدلائل	عبد الحميد بورايو	– ترجمة لمدخل إلى السيميولوجيا لدليلة مرسلي وأخريات، ص 11.
علم الدلالة اللفظية	الصباح صالح وآخرون	– المعجم الموحد، ص 129.
الدليلية	محمد فتاح	– المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، ص 45.
علم الأدلة	محمد البكري	– مبادئ في علم الأدلة
سيمياء	بسام بركة	– معجم اللسانية، ص 189.
السيميائيات	حنون مبارك قادة عقاق	– دروس في السيميائيات، فهرس المصطلحات، ص 110. – في السيميائيات العربية (قراءة في المنجز التراثي).
علم السيميولوجيا	عبد العزيز بن عبد الله	– مجلة اللسان العربي، ع 23، ص 166.
سيميولوجيا	محمد عناني محمد نظيف	– المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 153. – ترجمة كتاب ما هي السيميولوجيا؟ لبرنار توسان.

إن أول نتيجة نستشف هي تعدد المقابلات للمصطلح الأجنبي نفسه، والتي تصل حسب – يوسف وغليسي – إلى ستة وثلاثون مصطلحا عربيا، وما خفي عنا سيجعل الأمر أعظم، إذ يرى أن المعادلة الغربية (2=2) انتقلت إلى الوطن العربي بشكل لا يمكن أن يكون إلا مشوها (2= 36 !!!). [1]

وما يثير الانتباه أكثر اختلاف المصطلح المقابل لـ Sémiotique، عند الناقد نفسه، كما هو الحال عند كل من رشيد بن مالك (سيميولوجيا، سيميولوجية، علم الدلالات)، وحنون مبارك (سيميولوجيا، السيميائيات، السيميوطيقا)، وعبد السلام المسدي (علم الدلالات، العلامية، سيميائية)، وعبد المالك مرتاض (سيميائيات، السيميوتيكا، السيميوتيكية، الإشارية)، وفيصل الأحمر (السيميولوجيا، علم السيميائيات، السيمياء، علم الإشارات، علم الدلالات).

في الواقع أن معظم النقاد العرب يوظفون على الأقل مصطلحين عربيين في مقابل مصطلح أجنبي واحد، – لا يسعنا المقام أن نشير إلى كل المصطلحات – ، لكن لابد من الإشارة إلى مصطلح "علم الدلالة" الذي طالما لازم المصطلح الأجنبي Sémantique الذي نجده مقابلا لـ Sémiotique وهكذا تسود الفوضى واللبس لتختلط الأمور على القارئ، ويحمل يوسف وغليسي بعضا من مسؤولية هذا الخلط لعادل فاخوري، حيث ألف كتابا سيميائيا بعنوان علم الدلالة عند العرب، إذا توقفنا عند هذا الحد سنعد أنه يقصد Sémantique السيمياء الحديثة، وبالتالي لا ينتبه القارئ أو الباحث المبتدئ.

قد يعود أصل هذه الإشكالية إلى البيئة الغربية (الفرنسية) ذاتها، حيث لا يرفق بين المفهومين وهذا جانب من جوانب التعدد المصطلحي وآثاره السلبية.

---

[1] ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ط 1، 2009، ص 233.

ورد كذلك مصطلح الأعراضية الذي وضع نسبة للدلالة القديمة للمصطلح Sémiologie، أي الدلالة الطبية والأنسب أن يكون مقابلا للمصطلح Symptomatologie والمصطلح الذي استغربناه هو مصطلح الرموزية، و"علم الرموز" الذي نراه غير مناسب، لا من حيث اللفظ ولا من حيث الدلالة إذ نجد فيه الرموز وقد تعودنا أن يقال Le symbole وإن إدراجه ضمن قائمة المصطلحات المقابلة لـ Sémiologie يعقد الأمور أكثر مما عليه، إلى جانب مصطلحات أخرى مثل "علم العلاقات" و"الإشارية" و"لسان الإشارية"، عن مقابلة المصطلح الأجنبي الواحد بسلسلة من الكلمات العربية، وهو أمر نصت عليه المجامع اللغوية على تجنبه، نذكر ما وضعه تمام حسان ليقابل Sémiologie وهو دراسة المعنى في حالة سنكرونية، أنى لنا أن نعرف أن هذه الجملة يقصد بها مصطلح واحد. [1]

كثيرا هي المصطلحات التي قابلا المصطلحين الأجنبيين Sémiologie و Sémiotique متشعبة تصل أحيانا إلى حد التناقض، وأحيانا تتداخل الاختصاصات وتجعل الفصل بينهما أمرا عسيرا.

والملاحظ أن آلية الترجمة والتعريب، دفعت زخما من النقاد والباحثين إلى الاستسلام ووصف المصطلح بالقطيعة الإبستيمولوجية مع تاريخه ولغته العربية، ومما زاد الطينة بلة هو أن كل باحث يترجم وفق هواه ويقدم ترجماته دون أن يعرضها على الباحثين في حقل الاختصاص، ولا يلقى لها القارئ العربي ما يقابلها في ثقافته.

3-1-1 تلقي المنهج التأويلي:

لقد انتقل هذا المصطلح إلى الخطاب النقدي العربي المعاصر عن طريق الترجمة والتعريب، وقد تناوله "نصر حامد أبو زيد" قائلا بلفظة التأويلية، مؤرخا للمصطلح منذ

---

[1] ينظر : يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها، وروادها، وتطبيقاتها العربية، ص 108.

إرهاصات العالم الألماني "شلير ماخر"، والذي يعود الفضل إليه في نقل المصطلح من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون علما خاصا بعملية الفهم.

- التأويلية عند محمد مفتاح:

تحدث "محمد مفتاح" عن مصطلحي التأويل والتفسير في الأصول، وعن التأويلية في مناهجها الفلسفية معتقدا أن التأويل القديم ظاهرة إنسانية تختلف من شخص إلى آخر، سواء أكان من المجال الإسلامي أم غير الإسلامي، والتأويل في الحديث كنوع من اللعب الحر.

وفي ضوء هذه التفرقة في أهم مؤلفاته "مجهول البيان، التلقي والتأويل، التشابه والاختلاف"، لم يعتمد الباحث على المصطلحات الأجنبية السيميوطيقية بنصوص ذات المصطلح، لا بالنقل ولا بالترجمة، حيث طرح التأويل الفلسفي ثم التأويل التراثي والحداثي. (1)

- التأويلية عند سعيد علوش:

لغرض التوسع في تحديد المصطلح خص "سعيد علوش" المصطلح بحيز وافر، معتقدا أن مصطلح "الهيرمينوتيك" « عبارة عن مجموعة من المعارف والتقنيات التي تسمح باستنطاق الرموز واكتشاف معانيها، أي مبادرة متجددة وفهم رافض للاستقرار، وهو بناء بتفكيك ». (2)

أما مصطلح "الهيرمينوتيك" كاتجاه لدى الباحث، فهو الذي يتجاوز الاتجاهات السيميولوجية يأخذ منها عناصر كثيرة في حدود تمفصل نظرية عامة للمعنى وعلى هذا الأساس، فالتأويلية تأويلية فلسفية تتعدى إشكالية النص، إلى محاولة الفهم لأوضاع الإنسان

---

(1) ينظر: مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، ص 223.

(2) مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، ص 225.

وتجاربه، وتفكر في أزمة العلوم الإنسانية كلها، كما تناول الباحث المفهوم لدى "ليفي ستراوس" من شكليه الضمنيين: [1]

1- الشكل الذي استهدفه الكاتب.

2- الشكل الذي لا يعيه الكاتب.

بالإضافة إلى ذلك فقد ذهب "سعيد علوش" إلى اعتبار "الهيرمينوتيك" « مجموعة من المعارف والتقنيات التي تسمح باستنطاق الرموز واكتشاف معانيها ».[2]

- التأويلية عند نقاد آخرين:

تعرض الباحث "محمد برادة" إلى المصطلح مازجا بين المصطلحين هما:

تأويل وهيرمينوتيك، كما ترجم "محمد عصفور" نظام تحويلي باسم " Hermeneutic"، في مساق الحديث عن التصنيفات، و"عادل فاخوري" لمصطلحي تفسير وتأويل مقابلا للفظ الفرنسي "Hermeneutic". [3]

كما توجد أشكال أخرى لدى النقاد في ترجمة المصطلح منها التأويل لدى "مطاع صفدي"، ثم التفسير والهيرمينوتيك لدى "لطيفة إبراهيم"، والهيرمينوتيك لدى "نور الدين التيفر"، ثم يأتي التأويل الهيرمينوطيقي لدى "صلاح فضل". [4]

كانت هذه أهم الترجمات لمصطلح التأويل في العالم العربي، فقد تعددت مصطلحاته وترجماته، بتعدد النقاد والباحثين.

---

[1] المرجع نفسه، ص 226.

[2] سعيد علوش، هيرمينوتيك النثر العربي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، الدار البيضاء، 1995، ص 53.

[3] مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، الإشكالية والأصول والامتداد، ص 226.

[4] ينظر: نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، أبو وجدان للطباعة والنشر، (د.ط)، 1993، ص 166.

نلاحظ من خلال دراستنا للبحوث المتعلقة بالمصطلح النقدي عند العرب أنها لم تكن مجرد ترجمة للمصطلحات، وإنما كانت ثمرة للتفاعل والاحتكاك بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، من أجل تطور الثقافة النقدية العربية، وقد أدى دخول المصطلح النقدي الغربي إلى الخطاب النقدي العربي إلى إحداث حالة من الفوضى وعند الاستقرار، وعدم الاتفاق على مسمى واحد.

غير أن الولوع بالحداثة الغربية وحالة الانبهار بمنجزات الآخر هي ما قاد النقد العربي إلى الارتماء الأعمى في أحضان الثقافة النقدية الغربية.

2- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي في كتابات عبد الملك مرتاض:

بدأ الخطاب النقدي في الجزائر في أواخر الثمانينات يعرف تحولا في تعامله مع النص الأدبي، وذلك من أجل تجاوز تلك المناهج النقدية السياقية إلى المناهج الحداثية، التي بدأت تجتاح العالم العربي وخاصة المغرب العربي، ونتج عن ذلك ما أصبح يعرف بالنقد النسقي من سيميائية وتفكيكية، بنيوية وأسلوبية، وقد تبنى مقولات النقد نخبة من المثقفين الجامعيين أمثال: عبد الملك مرتاض، عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين، لخضر جمعي، يوسف أحمد، عبد القادر فيدوح، والتي كانت ترى بأن الواقع المعرفي في العالم المعاصر أصبح يتطلب معرفة علمية ومنهجية تساير التطور العلمي المتسارع، ومن ثم كانت النخبة المؤسسة للمشهد الحداثي في الخطاب النقدي الجزائري، وقد حاول أصحابها جاهدين تمثل المناهج النسقية والعمل على تطبيقها على النصوص الإبداعية، لكن صعوبتها وغموض مصطلحاتها، حاول دون تحقيق ما كانوا يأملون فيه، ولكن دعوتهم إلى التخلي عن المناهج التقليدية وضرورة إتباع المناهج الحداثية قائمة، من أجل وضع رؤية واضحة وجديدة على مستوى الساحة النقدية الجزائرية.

ونحن هنا بصدد إلقاء الضوء على طبيعة ممارسة نقد ما بعد البنيوية في الجزائر الذي يقودنا إلى الكشف عن مدى وعي الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض بطبيعة المصطلح النقدي.

– التعريف بالناقد عبد الملك مرتاض:

ولد عبد الملك مرتاض في 10 أكتوبر 1935، أستاذ جامعي وأديب جزائري حاصل على الدكتوراه في الأدب، ولد في قرية مسيردة بولاية تلمسان، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية (2001)، كان عضوا في لجنة التفكير لمسابقة شاعر المليون التي أقيمت في أبو ظبي، كان عضوا في لجنة التحكيم لمسابقة أمير الشعراء التي أقيمت في أبو ظبي من مؤلفاته:

- ألف ليلة وليلة (تحليل تفكيكي لحكاية حمال بغداد).
- تحليل الخطاب السردي (تحليل سيميائي مركب لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ).
- شعرية القصيدة قصيدة القراءة (قراءة سيميائية ثانية لقصيدة أشجان يمانية).
- التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل قصيدة شناشيل ابنة الحلبي).
- أي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين لبلاي" لمحمد آل خليفة.

2-1 استقبال المنهج التفكيكي عند عبد المالك مرتاض:

لم تتأخر الساحة النقدية الأدبية الجزائرية في استقبال المصطلحات النقدية المعاصرة، إذ يرجع الفصل إلى الباحث "عبد المالك مرتاض" بوصفه صاحب السبق في نقل النظريات اللسانياتية الجديدة، وفي استيراد المفاهيم والمصطلحات إلى سوق النقد الجزائرية، وذلك بالنظر إلى الاتجاه العام الذي سلكه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم الحضارية، فضلا على تجربته ومراسه مع الحداثة وأعلامها، وهي حصيلة غنية توفر عليها الباحث، لا تزتل بصماتها جلية في ميادين كتاباته النقدية، بكل ما فيها من أبعاد ودلالات.

كما أنه استمد أفكاره ونظرياته من أسس ومنطلقات لسانية معاصرة، تدخل في ميادين متعددة وتشكل اختصاصات حقول النقد بوجه عام. (1)

يعتبر "عبد المالك مرتاض" من النقاد الذين عايشوا مختلف التفرعات المنهجية للنقد اللسانياتي (النقد النسقي)، وهذا ما يؤكده بقوله: « أنا ناقد ألسني، وتأتيك التشريحية وتأتيك الأسلوبية، هناك أربعة مناهج تحت مظلة النقد الألسني ». (2)

يمكننا توضيح التداخل في المناهج على المستوى المفاهيمي والإجرائي، لأن معظم التفكيكيين الذين أخذ عنهم هذه المفاهيم والمصطلحات هم أنفسهم بنيويين وسيميائيين وأسلوبيين، مبررا ذلك بقوله: « أنا أستخدم البنيوية في أوقات معينة، واستخدامي لها هو استخدام انتقائي، أنا أستخدم بعض أدوات السيميولوجية، وبعض أدوات التشريحية وبعض أدوات الأسلوبية ». (3)

وقد أكد استفادته المبكرة من النقد الجديد وتياراته بقوله: « طائفة من النقاد الثوريين الذين رفضوا أن يظل النقد على ما أقامه "تبين" و"لانسون" و"بيف"، وأقبلوا يبحثون في هذا النص بشرط علمي عصيب، فأخذوا يقلبون أطواره على مقالب مختلفة ومن هؤلاء: الاجتماعيون، والبنيويون، والتفكيكيون أو التشريحيون والسيميائيون، وأثناء ذلك الأسلوبيون، لكان أمر النقد ودراسة النص بخاصة انتهى إلى باب مغلق لا يفتح بأي مفتاح ». (4)

كما يبدو استلهامه من أفكار المدرسة التفكيكية وتأثره بأقطابها وعلى رأسهم "جاك دريدا" وذلك من خلال كتابه أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية حيث يتجلى ذلك في قوله: «... أن نحرس

---

(1) ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2005، ص 11.

(2) المرجع نفسه، ص 12.

(3) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 12.

(4) عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1990، ص 19.

على تناول النص الأدبي تناولا مستوياتيا بحيث نسلط عليه الضياء تسليطه عليه من مستويات مختلفة فندرس النص مثلا في مستوى بنية اللغة ثم في المستوى التفكيكي ». [1]

إن أبسط تعريف مبكر للتفكيكية كإجراء منهجي أورده "عبد المالك مرتاض"، هو ما ظهر في مطلع الثمانينات حيث قال: « إن جاك دريدا هو الذي، أو هو أحد الذين، طوروا البنيوية بالمفهوم الطودورفي ودرجوا بها رويدا نحو التشريحية أو التفكيكية – فكلا المصطلحين يشيع –، التي تقوم على تفكيك النص من حيث هو ممارسة لغوية ». [2]

ثم أضاف: « أنها نزعة تخوض في أمر الكتابة ومفهومها، ويتمثل ذلك خصوصا في كتابه "الكتابة والاختلاف" مع ما نزعته إلى النقد، فأصبحت ترتدي في كتابات بعض النقاد المعاصرين مصطلح ما بعد البنيوية ». [3]

ويلاحظ كذلك أن "عبد المالك مرتاض"، في بحثه عن الفكر التفكيكي وجذوره الفلسفية لاحظ أن هذه النزعة يجب أن تكون بنتا بارة للبنيوية التي تكملها أكثر مما تقاطعها، وعليه صاغ مجموعة من الأسئلة محاولا الإفصاح من خلالها على مجموعة من النظريات والأفكار الفلسفية والنقدية التي نظرت إلى هذا المفهوم. [4]

وفي معالجته لهذا المصطلح، نستطيع القول أن تعامله مع هذا المصطلح ظهر في ثلاثة أشكال رئيسية هي:

الأول: عندما ذهب إلى تحديد جذور كلمة "تفكيكية Déconstruction" قائلا: « وتأملنا المصطلح الغربي الذي منشؤه فلسفي محض (جاك دريدا فيلسوف فرنسي)، استبان لنا أن اللفظ الغربي مركب من مقطعين اثنين " Dé"، وتعني ما وراء و" construction"، الذي معناه البناء

---

[1] عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 21-22.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

[4] المرجع نفسه، ص 27.

أو التطنيب، ثم عرف المصطلح بقوله: إن التفكيك لغويا يعني تجزئة كيان مركب منقطع، ثم إعادة تركيبه، كما كان من ذي قبل، كتفكيك قطع محرك، أو أجزاء بندقية، وهلم جرا، فالتفكيك لا يعني ضياع أي جزء من الشيء المفكك ».

والثاني: ظهر حينما أفصح الناقد عن تبنيه مصطلحي "التفكيكية" و"التشريحية، كعناوين لبعض مؤلفاته مثل: "بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان عمانية"، و"أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ثم "ألف ليلة وليلة" تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "حمال بغداد".

والثالث: من خلال تراجع الناقد عن هذين المصطلحين قائلا: « ونحن الآن لا نصطنع هذين المصطلحين معا، على الرغم من أننا كنا اصطنعنا في مبدأ مسارنا الحداثي مصطلح "التشريح النصي" الذي كنا نريد به في الحقيقة إلى القراءة المجهرية، أو Mecro Lecture لا إلى التشريحية لمفهوم "Déconstuction" ».[1]

كما اقترح مصطلحا آخر هو "التقويضية"، مناقشا في هذا المفهوم أفكار المؤلف "بيير زيما"، في كتابه أي "قراءة للتقويضية" توازنا مع هذا رأى تناسب أفكاره مع آراء المفكر الجزائري "محمد أركون" في ذات المسألة، لا سيما من حيث الخلفية المعرفية لهذا المفهوم، ذلك أن التقويضية في نظر "عبد المالك مرتاض" تعني الإتيان على هيئة من الهيئات، أو أي شيء مادي، أو معنوي، ثم إقامة بناء جديد على أنقاضه وبوحي منه، ثم إن المصطلح في أدق دلالة من التفكيك الذي لا يؤدي المعنى الحقيقي لمفهوم التفكيكية عند "جاك دريدا". [2]

"عبد المالك مرتاض" حسب يوسف وغليسي « هو سيد النقد التفكيكي بلا منازع، وقد اهتدى إلى التفكيكية في نهاية الثمانينات وكان كتابه "ألف ليلى وليلة تحليل سيميائي تفكيكي

---

[1] عبد المالك مرتاض، بين التناص والتكاتب – الماهية والتطور –، مجلة قوافل، النادي الأدبي، الرياض، السعودية، العدد 7، 1996، ص 196.

[2] ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 137.

لحكاية حمال بغداد"، أول عهده بها، حيث ألفه سنة 1986، ونشره في العراق سنة 1989، قبل أن يعيد طبعه في الجزائر سنة 1993، ثم أردفه بكتب لاحقة تنهج نهجا مركبا – سيميائيا تفكيكيا – مثل: "أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة" الذي ألفه سنة 1987، ونشره سنة 1992، وكتابه "تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"، الذي ألفه سنة 1989، ونشره سنة 1995.

وإذا غضضنا الطرف عن مرتاض، فإننا لا نكاد نعثر على نموذج تفكيكي يستحق الذكر، اللهم إلا دراسة واحدة قدمها الأستاذ "الطاهر رواينية" بعنوان "الكتابة وإشكالات المعنى"، قراءة في بنية التفكك – رواية "تجربة في العشق" للطاهر وطار، وقد أفاد فيها بعض الشيء من المفاهيم التفكيكية (الكتابة، القراءة، التصدع السردي، التناص...)، التي انتقاها من ميشال فوكو ورولان بارت، ومن كتاب وليم راي الذي أحلنا عليه سابقا ». [1]

ونجد أيضا « ترجمة الشاعر "عمر أزراج" لثلاثة نصوص تفكيكية من النقد الإنجليزي، ودراسة الدكتور "سليمان عشراتي" النظرية حول التفكيكية وجذور الوعي التنظيري عند "جاك دريدا"، واللتين سبقت الإحالة عليهما، مثلما نعثر على بعض المفاهيم التفكيكية موزعة في بعض كتابات الناقد الراحل "بختي بن عودة" كمفهوم الملحق Supplement في دراسته "انسحاب الكتابة" ». [2]

والملاحظ على أعمال "عبد المالك مرتاض" « أنه استعمل "التشريحية" استعمالا إجرائيا خاصا في عنوان فرعي لكتابه "بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية"، حيث قدم قراءة عربية معاصرة لهذه القصيدة، وهي في الواقع لا تنتمي إلى منهجية القراءة التشريحية أو التفكيكية، بل تزاوج بين القراءتين "البنيوية والتفكيكية" ووجه المخالطة في هذا الأمر أن مرتاضا قد اصطنع هذه التشريحية، في وقت متقدم، مع جهل منه أكيد باستعمال

---

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 163.

[2] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 163، 164.

الغذامي لها، أي قبل أن تكتسب هذه الكلمة دلالة اصطلاحية تفكيكية "غذامية"، فهو ليس مسؤولا عن تحميل التشريحية الإجرائية ما تنوء به من دلالات اصطلاحية ثقيلة اكتسبها في وقت لاحق ». (1)

وربما كان سوء الفهم هو الذي قاد "مرتاض" إلى تبيان الفروق بين تشريحيته وتشريحية غيره إذ قال: « كنا اصطنعنا في مبدأ مسارنا الحداثي مصطلح "التشريح النصي" الذي كنا نريد به في الحقيقة "القراءة المجهرية"، لا إلى التشريحية بمفهوم " Déconstruction"، وبعد سبع سنوات من هذه الإشارة، راح يؤكد قائلا: استعملنا نحن في كتابنا "النص الأدبي من أين وإلى أين" مفهوم التشريح بمعنى التحليل المجهري للنص، بحيث تتابع سماته اللفظية واحدة بعد واحدة، وفي مستويات متباينة تتضافر لدى نهاية الأمر إلى تسليط الضياء عليه من كل زواياه الممكنة، وهو الإجراء المستوياتي الذي استخدمناه، واصطنعناه في تحليل ما يقارب عشرة نصوص أدبية، قديمة وحديثة، وشعرية ونثرية ». (2)

يؤكد عبد المالك مرتاض « بقوله بالبناء بعد التفكيك، أو التطينيب بعد التفويض، يبدو لنا مفارق بعض الشيء لحرصه على إحلال التقويض محل التفكيك، بالنظر إلى قصور الفعل التفكيكي الذي لا يعمد إلى تدمير الشيء المفكك، ولكنه يجزئه فقط، في انتظار إعادته إلى ما كان عليه كتفكيك قطع محرك من المحركات لفحص دواليبها الفاعلة فيه ومراقبتها قبل إعادة تركيبه كما كان ... ». (3)

وانطلاقا من هذا المعطى المنهجي، « بحث "عبد المالك مرتاض" في خلفيات الجذور الفلسفية للتفكيكية من خلال آراء "جاك دريدا" في كتبه الثلاثة، التي أظهرت هذه النزعة، كما ظهر عامل تأثره بهذه النظرية واضحا في أعماله، من خلال استمداده الفكري من الروافد

---

(1) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009، ص 187.

(2) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 187.

(3) المرجع نفسه، ص 192.

الفلسفية المتعددة فيها، على أن الأساس الذي عني به في ذلك هو "نقد للبنيوية" كما وضع خطة منهجية لتناول القضايا الآتية: تحديد المفهوم، مناقشة وعرض كتب "جاك دريدا" وأفكاره وأبعاده، البحث في أصول وخلفيات النزعة التفكيكية فلسفيا وجغرافيا، ومحاولة تخطيها والسعي إلى تجاوز أفكار "دريدا" نفسها ».(1)

- استقبال المنهج السيميائي عند عبد المالك مرتاض:

إن المطلع على مسيرة النقد في العصر الحديث، يسلم بأن الدكتور "عبد المالك مرتاض"، اشتغل أكثر من غيره على المصطلح النقدي واشتقاقاته وكانت له فيه غلبة وآراء حيث « فرق بين التناص الذي يقابل عند العرب مفهوم السرقة، وما دخل تحته من مصطلحات، وما بين التناصية، وتعني عنده النظرية، وتبادل التأثير بدون قصد غالبا، وبقصد غير قائم على السرقة الأدبية الموصوفة أحيانا، وتحاور طائفة من النصوص، وتضافرها لإنشاء نصا جديدا على أنقاضها ».(2)

إن عبد المالك مرتاض قبل أن يتطرق إلى مصطلح "السيميائية" بحث عن أصله اللغوي العربي عند العرب فذهب إلى مصطلح "السمة" وبنى عليه مصطلح "السيميائية" فيما بعد، وصحح الفرق بين السمة والتسويم حيث قال: « إن أصل السمة في اللغة العربية آت من الوسم (و س م) وليس من التوسيم (و س م)... وهو إحداث تأثير أو علم بكي أو وشم أو قطع أو نحوه ».(3)

(1) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 28.

(2) حسين علي جمعة، الميسر في النقد الأدبي، دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 2003، ص 145.

(3) عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، 2007، ص 147.

كما أشار إلى مصطلح العلامة الذي هو من مادة (ع ل م) ويعتبره قريبا من مادة (و س م) دون أن يطابقه « ولعله يكون آتيا من العلامة والعلم بمعنى الخيل ».[1]

ويفضل "عبد المالك مرتاض" مقابلة المصطلح الأجنبي (SING−SINGE) بـ: "السمة" الموجودة في التراث للخروج من أحد أهم المعوقات التي تعيق النقد السيميائي العربي – ونفي بها قضية المصطلح – ومن بين هذه المصطلحات نجد:

- السمة (SINGE):

كان هذا المصطلح « أحد المصطلحات الجديدة التي لا زالت تحيا مرحلة التقبل والتجريب في الخطاب النقدي المعاصر، وأحد المفاهيم التي استعارها من الدراسات الغربية ».[2] فهو مصطلح ذو « أصل لاتيني (Sighum)، يأتي مرادفا للأمارة والعلامة وهو مصطلح عربي سليم، ورد ذكره عند "ابن منظور" باسم: (سيما) Sema و سومة. على أن مفهوم العلامة، في نحو "ابن الأعرابي" السيم: العلامات، والخيل الموسومة، أي المعلمة، والسوما بمعنى العلامة التي يعرف بها الخير والشر ».[3]

كان من أهم المصطلحات السيميائية النقدية التي عني بها الناقد "عبد المالك مرتاض" حيث أنها بالنسبة إليه « مكون أساسي ووحدة رئيسية أي سيميائية يعنيها، ولأن مفهومها في اعتقاده، يرجع إلى العرب، حيث أنهم تعاملوا منذ القدم بأسلوب إشاري أثناء الأفراح والأتراح».[4]

---

(1) المرجع نفسه، ص 147.

(2) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 123.

(3) طارق ثابت، عبد المالك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة، الجزائر، فيفري، 2007.

(4) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 123.

أما فيما يخص مرادفات هذا المصطلح فقد اقترح "عبد المالك مرتاض" مصطلح "العلامة" كمرادف حيث أخذ (Marque) وقاربه بلفظ (Signe).

وفي موضع آخر « حتى يؤكد "عبد المالك مرتاض" تبنيه لفظة (سمة) أشار – من الوجهة الفلسفية لدى "بيرس – إلى بعض المفاهيم والعلاقات الثلاثية الأطراف التي أقامها هذا العالم وهي:

أ/ السمة الوصفية (QUALISINGE)

ب/ السمة الفردية (SINSINGE)

ج/ السمة العرفية (LE GISIGNE) ».[1]

وقد ساعد هذا "عبد المالك مرتاض" على ترجمة هذا المصطلح في بعض الأعمال الخاصة بـ (شارل بيرس) حيث ترجمه بـ:

– القرينة (INDICE):

وذلك على اعتبار أن « السمة ظاهرة طبيعية تدرك بصفة مباشرة، فاللون الداكن الذي يسم وجه السماء هو سمة أو قرينة لعاصفة وشيكة الحدوث ».[2]

– سيميائية:

استعمل عبد المالك مرتاض هذا المصطلح في بعض عناوين كتبه حيث ورد في (أي دراسة سيميائية تفكيكية لنص "أين ليلاي") ودراسة أخرى بعنوان (ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية).

---

[1] المرجع نفسه، ص 125.

[2] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 125.

وبناء على ذلك فقد قدم مصطلحي، سيموية، وسيميائية، واعتبرهما « أسماء لعلم يشتمل على مجموعة من الإجراءات التي بواسطتها يتم قراءة النصوص الأدبية قراءة سيمائياتية ».[1]

وأن مصطلح السيماءوية « يجب أن يستعمل حين الوصف أو النسبة إلى هذا العلم، وهناك ما هو سيماءوي وهو الشيء المنتسب لهذا العلم أو الموصوف به وهناك ما هو سيميائياتي، وهو الحانب التحليلي أو التطبيقي بهذا العلم ».[2] لكنه بالرغم من ذلك تراجع عن المصطلح الأول وفضل مصطلح سيميائية، ويفصح عن سبب تراجعه قائلا: « مصطلح السيميائية (...) عربي سليم وصحيح جاء من السيما بمعنى العلامة: وفي ذلك قوله تعالى ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ ».[3]

أضاف إلى « "السيما" الثنائية العلمانية، وهي التي تعرف لدى عامة الناس بالياء الصناعية فأصبحت بذلك دلالة على النزعة، وعندنا من النقاد العرب الحداثيين، ممن لا يحرصون على الصياغة العربية الصحيحة، وهناك من يطلق عليها "السيمولوجيا" باستعمال المصطلح الغربي كما هو، على أن مصطلح "السيميائية" أو "السيميولوجيا" هو غير السيميائيات أو السيميوتيكا ».[4]

- أيقونة (Icone):

لقد عد "عبد المالك مرتاض" هذا المصطلح « مصطلحا دينيا مسيحيا أصلا ثم نقل إلى هذا المعنى السيميائي الذي يعني في أبسط ما يعني العلاقة التشبيهية مع العالم الخارجي ».[5] وقد طبق هذا المظهر الاصطلاحي في تحليله لنص "أين ليلاي" قائلا: «... فإننا ظهرنا فيه

---

(1) المرجع نفسه، ص 126.

(2) طارق ثابت، عبد المالك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة، الجزائر، فيفري، 2007.

(3) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 127.

(4) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 127.

(5) المرجع نفسه، ص 129.

بنماذج مما يعرف في مصطلحاته السيميائيين بالأيقونة، كما تناول الشفرة "ليلى" في هذه القصيدة كمفهوم تقليدي، تمثل صورة بصرية "أيقونة"، وهي مجال التأويل، عكس أيقوني لعوالم تحوي مثلا هذا المعكوس البصري تقريبا للصورة وتجسيد للفكرة، ثم أعقب هذه الصياغة بأخرى حيث كتب "أيقوني" في حديثه عن المعادلة "إيقوني" بإسقاط الياء في اسم الصفة».(1)

ولكن في نفس الوقت حاول "مرتاض" إيجاد بديل عربي نيابة عن مختلف المصطلحات المعروفة المترجمة، فاقترح مصطلح: "المماثل" فقال: «... ذلك بأن السيمة التي تثير فينا أو من حولنا، الانتباه، تعتدي ذات دلالة سيميائية لا تستطيع أن تتخلص من العلاقة التي تربطها بأصلها الفاعل والمؤثر ومن الأمثلة على ذلك آثار أقدام في طبقة ثلجية، فإن تلك الآثار ليس للأقدام التي مرت من هناك فعلا، ولكنها أثر منها أو مثل لها، فالعلاقة التي تربط بين ما نطلق عليه المماثل و"المماثل به" علاقة مشابهة ومماثلة للعالم الخارجي، أو المظهر الخارجي ....». (2)

وقد حاول مرتاض تفسير الاختلاف الموجود بين الأيقونة والقرينة بقوله: «... ويكون التمييز بين "المماثل" [الأيقونة] والقرينة، عادة بكون هذه علية لا تقبل المشابهة، بينما المماثل هو أصلا يقوم على التماس التلاؤم المماثل [صور طبق الأصل] بين السمة والعالم الخارجي، وإذن فلا نستطيع أن نقول: إن الدخان سمة مماثلة للنار، إن العالم الخارجي يختف عن السمة الحاضرة، على حين أننا فيما يعود إلى القرينة، لا نبحث عن المماثلة والتقارب، وإنما نبحث عن العلية حيث إن الدخان كان معلولا بعلة النار، فالدخان معلول، والنار علة، فالعلاقة إذن علية ».(3)

---

(1) عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ص 80.

(2) عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية)، دار المنتخب العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1994، ص 234.

(3) عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص 237.

- الرمز (Symbole):

مفهوم تبناه من خلال أفكار السيميائيين، (شارل بيرس)، (دي سوسير)، (غريماس).

يشير "مرتاض" إلى أنه موضوع، مزعج، وغامض، وذلك بسبب ضآلة الشرح والتفسير والوضوح حول هذا المفهوم، فقال: «... أما الحديث عن مفهوم الرمز في حقل السيميائيات فمزعج لدى فرسانه الكبار أنفسهم أمثار "شارل بيرس (Charless Pierce)"، ويالمسليف (Hjelmslev) و "دي سوسير" حيث إنهم لم يستطيعوا قط إقناعنا بضرورة هذا المعطى السيميائي... وقد انزعجنا نحن أشد الانزعاج من اقتصار كل اللسانيين والسيميائيين على ذكر مثال واحد هو "الميزان رمز للعدل" دون محاولة التنويع بالتطلع إلى الإتيان بمثال آخر...». [1]

وبهذا المثال فقد أشار "مرتاض" إلى أن السيميائيين الغربيين بخصوص هذه القضية يميلون إلى ما يحدث مع النحاة العرب فيقول: «... وقد خيل إلي أن السيميائيين الغربيين لا يختلفون فتيلا في هذه القضية بالذات عن قدماء النحاة العرب الذين كلفوا بمثل قولهم: ضرب عمر زيدا، وقتل زيدٌ عمرًا، ورأيت الهندات، ومررت بالهندات، وهم في الحقيقة لم يروا، ولم يفروا قط... ولكنها محنة المهنة ... ». [2] ولهذا فقد استنتج أمثلة أخرى كالمثال السابق، فمثل بالقلم للعلم أو الكتابة، والأسد رمز للقوة أو الشجاعة... إلخ.

وانطلاقا من تعريف "جان مارتيني" للرمز استطاع "مرتاض" تقديم تعريف له، فقال: «... وإذن فالرمز يتخذ له أثوابا شتى ويتشكل في أشكال مختلفة: مجسدة حية، أو ناطقة مسموعة، أو خرساء منظورة كالنار العربية، والكتابات الإشهارية، والكتابات الشعارية...». [3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 239.

[2] عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص 240.

[3] المرجع نفسه، ص 241.

- **تشاكل:**

يرى "مرتاض" بأنه « فرعية من الفرعيات السيميائية التي اهتدى إليها غريماس في تأملاته وتجاربه حول نظرية النص الأدبي ».[1]

وعرفه أيضا بقوله: « إن مصطلح تشاكل اسم مشتق، منحوت في أصله من كلمتين إغريقيتين هما (ISO) التي تعني التساوي، و(TOPOS) التي تعني المكان، ليصبح في الأخير الاسم الذي يدل على المكان المتساوي أو تساوي المكان، ثم أطلق لتعبر عن الحال في المكان، أي في مكان الكلام ».[2]

ويضيف أيضا بقوله: « تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية إما بالتكرار أو بالتماثل، أو بالتعارض سطحا وعمقا، وسلبا وإيجابا ».[3]

ويعرف كذلك بأنه: « كل مستوى من المقومات الظاهرة المعنى والباطنة والمتمثلة في التعبير أو الصياغة، وهي متمثلة في المضمون، تأتي متشابهة مورفولوجيا أو نحويا أو إيقاعيا أو تركيبيا، عبر شبكة من الاستدلالات والتباينات وذلك بفضل علاقة سياقية تحدد معنى الكلام».[4]

فرق من جهة ثانية بين التشاكل ولا تشاكل حيث أن هذا الأخير عنده يتمثل في قوله: « أما اللاتشاكل فيقوم في هذا الكلام على أساس التأليف بين أطراف متناقضة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه التباين ».[5]

---

(1) المرجع نفسه، ص 35.

(2) عبد المالك مرتاض، مقامات السيوطي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996، ص 44.

(3) عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص 43.

(4) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996، ص 24.

(5) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 133.

ثم أضاف في ذلك قائلا: « إذا كان التشاكل يرصد العلاقات المتقاربة أو المتشابهة معا ثم نص من النصوص ونسوج خطاب من الخطب، فإن التباين يرصد العلاقات المتنافرة، أو المتناقضة المتعارضة التي تفضي فيما تفضي إليه، في حقيقة الأمر إلى تحديد الدلالة السيميائية للمعنى عبر انصهارها أو أثناء انصهاره في ساحة النص المطروح للتحليل المجهري أو التشبيه به ».[1]

يمكن أن يكون اللاتشاكل من هذا المنطلق قريب من الطباق على أساس أن هذا الأخير يجمع بين متناقضين كذلك هو اللاتشاكل (التباين).

- التناص:

يعد الدكتور "عبد المالك مرتاض" من النقاد الجزائريين الذين تبنوا مصطلح التناص في تحليلهم للنص الأدبي حيث بين أهميته في الكتابات النقدية العربية وذلك من خلال قوله: « إن التناص للنص الإبداعي كالأكسجين الذي لا يشمُّ ولا يرى ؛ ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر بأن كل الأمكنة تحتويه؛ وأن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم ».[2]

اقترح من جهة أخرى مصطلح "التفاعل" كنموذج ينتمي إلى حيز التناص ويقول في ذلك: « أما التفاعل الذي يحدث بين كتابة الكاتب والمؤثرات الأخرى الشفوية والعامة، فهي تنطوي تحت مفهوم "التناص"، كما تنضوي تحت مفهوم الكاتب ».[3]

وبرهن بعد ذلك على تجاوز النقل والتطبيق لكل ما جاءت به الحركة النقدية الغربية، بالتنبيه إلى المجهودات النقدية العربية التي تنطوي تحت هذا المصطلح وذلك بالإشارة إلى مصطلحي "السرقات" و"الاقتباس".

(1) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 133.

(2) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص 278.

(3) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 134.

من هنا نستنتج أن "مرتاض" قد حاول العودة إلى التراث العربي القديم ليجد مقابلات للمفاهيم والمصطلحات السيميائية الغربية، فاقترح مصطلحات بديلة متعددة، يعرفها النقاد والباحثون العرب القدامى، وبذلك فقد جمع "مرتاض" بين المفاهيم السيميائية الحديثة وبين المفاهيم العربية القديمة.

- استقبال المنهج التأويلي عند عبد المالك مرتاض:

يعد التأويل من المصطلحات المتداولة من أجل تفسير وتحليل وتفكيك النصوص، وهو واحد من المصطلحات التي تتقاطع مع المصطلحين السيميائي والتفكيكي، فكل هذه المصطلحات تعمل على إنتاج نص جديد من نص قديم.

وفي هذا الصدد نجد الدكتور "عبد المالك مرتاض" « قد تحدث عن هذا المصطلح وعن أصله اليوناني "HERMENEUTIC" كظاهرة تعني التأويل والتفسير معا، محدد المفهوم في قراءات: هايدغر، وبول ريكور، حيث وسعوا نظرية التأويل على خلاف الإغريق، والمصطلح في اعتقاده غربي، يعني الشرح ومعناه في النقد الأدبي العربي، العلم الذي يختص بتأويل النص، ثم ينصرف المفهوم لدى الباحث إلى النص المقدس لدى الإغريق والمسلمين، ومع مرور الوقت استعاض الباحث مصطلحا آخر، هو التأويلية بديلا عن: "HERMENEUTIQUE" ».[1]

كما يعتبر "عبد المالك مرتاض" سياق التفسير بديلا لعلم التأويل، ومنهجا ضروريا للنص الأدبي وتفكيك شفراته، أما "عبد القادر فيدوح" فقد اختار مصطلحا "التأويل" و"التأويلية"، وقد تمثل مفهوم التأويل لدى "عبد المالك مرتاض"، في نص قصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة. [2]

---

[1] مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي، السيماءوي، الإشكالية، الأصول والامتداد، ص 226.

[2] ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 18.

وقد اعتمد على فكرة "الهيرمينوطيقا" في تأويل الرمز فنجده يتساءل: « هل يحتاج النص إلى تأويل؟ وإذا كان ذلك حقا فما مدى صلاحية التأويل أو الهيرمينوطيقا كما يعتبر السيميائيون لأن يكون رأيا أو وجهة نظر ذوقية أو علمية؟ إنا نحسب كل نص يفتقر إلى رؤية هيرومينوطيقية قد تثري نصه وتجدد حياته وتكفل عطاءه المستمر عبر الأزمنة المتلاحقة ».[1]

اعتمادا على مفهوم التأويلية وما تصبوا إليه من ربط للنظريات العامة للمعنى بالنظريات العامة للنص فقد حاول الناقد في حديثه عن تأويل الرمز في النص فرسم لنا أربعة دعائم على الأقل يقوم عليها النص: [2]

1- الأسطورية.

2- الروحية.

3- السياسية.

4- التاريخية.

يوضح هذا المخطط أهم المراحل التي مر بها الناقد عبد المالك مرتاض طيلة سنوات البحث والتأليف في مجال النقد الأدبي، منهجا ومصطلحا.

---

(1) عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ص 93.

(2) عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ص 97.

استراتيجية النقد عن عبد الملك مرتاض

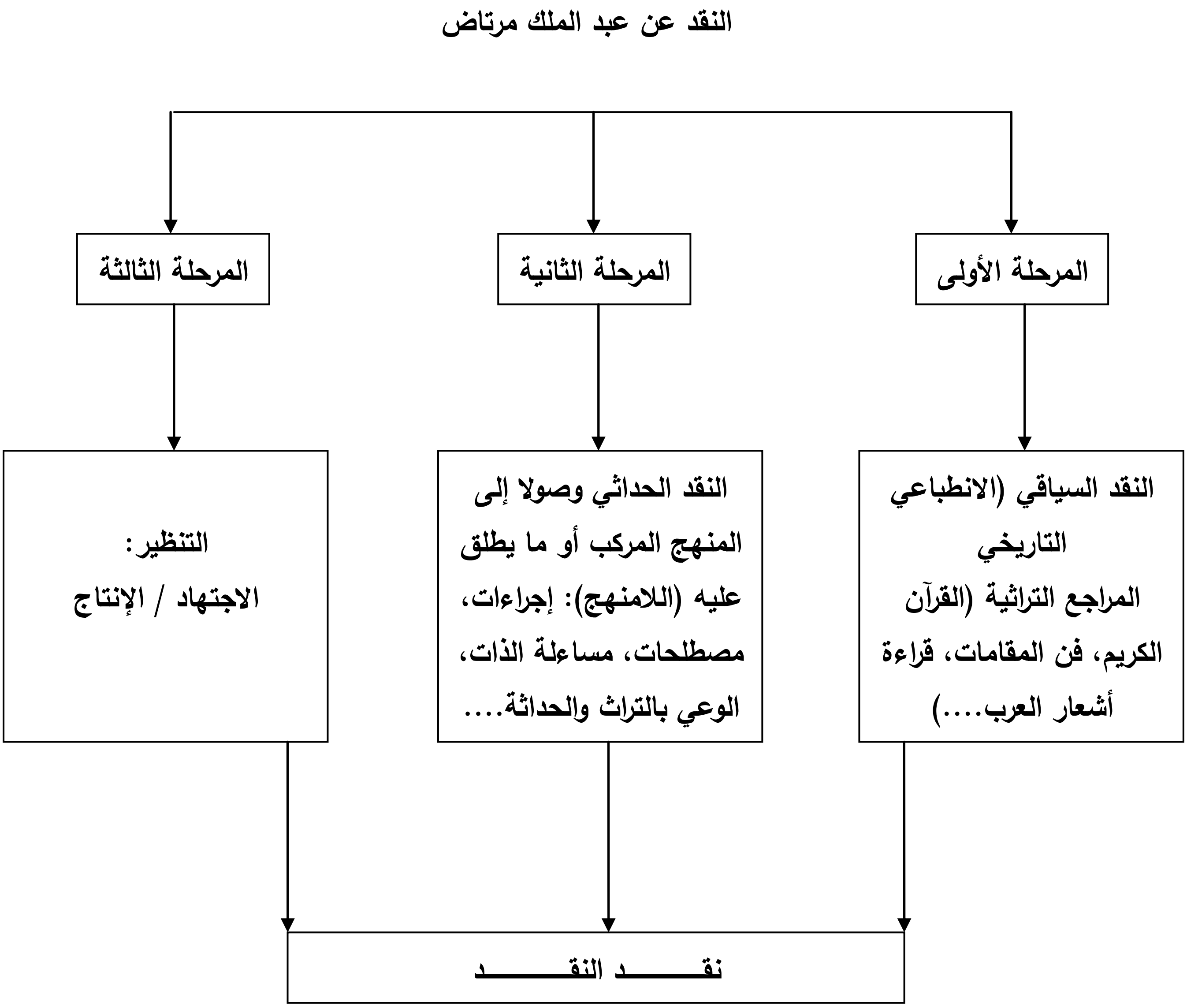

يوضح هذا المخطط أهم المراحل التي مر بها نقد عبد المالك مرتاض حيث كانت قراءاته الأولى تنصب على النصوص التراثية نثرا وشعرا والنص القرآني، بالإضافة إلى احتكاكه بالثقافة الغربية بما فيها المناهج الجديدة، أين تعامل مع النص الأدبي كبنية جمالية، من خلال تفكيكه إلى وحدات وإبداع نص ثاني من خلال محاكاة النص الأول.

خاتمة

بفعل التطور الذي لحق الدراسات النقدية العربية المعاصرة، والمغاربية بالوجه الخاص، لحق النقد الأدبي مجموعة من الرؤى المعرفية المختلفة، والأدوات الإجرائية المتعددة، ساهمت وساعدت بشكل كبير النقاد المغاربة على تخطي وتجاوز النهج التقليدي في مقاربة النصوص الأدبية، فغيرت عاداته النقدية وآلياته التحليلي ة، إلى أبحاث موضوعية وعلمية تعتمد بالأساس على تتبع المتصورات الجوهرية للإبداعات الأدبية المختلفة.

ولذلك وتأثرا بالدراسات النقدية الغربية، نجد أن الدرس النقدي المغاربي يشتغل بالبحث عن جوهر النص الإبداعي وحقيقته بطرائق وآليات متنوعة سواء بتحليل بنياته أو مرجعياته... وغيرها، وذلك بالاعتماد على المناهج والنظريات النقدية المعاصرة، كالتفكيكية والسيميائية، والتأويلية ...وغيرها.

وسواء تعلق الأمر بالدراسات النقدية الأدبية العربية أم الغربية فإن النقد الأدبي بشكل عام، ارتبط في التاريخ الأدبي بفكرة التقاط مضمون النص، والبحث عن الفراغات، والثغرات التي يتضمنها العمل الإبداعي، لكي تتم مناقشاتها فيما بعد.

ومن هذا المنطلق، نشأت إشكالية تلقي المصطلح في الدراسات النقدية العربية بين النقاد والباحثين والدارسين والمختصين في مجال النقد الأدبي.

وبالتحديد وانطلاقا من مفهوم التلقي، حاولنا لفت النظر إلى قضية تلقي المصطلح ما بعد البنيوي في النقد الجزائري، وخرجنا بمجموعة من الملاحظات نلخصها في مايلي:

من ايجابيات ما بعد الحداثة أنها حركة تحررية تهدف إلى تحرير الإنسان من عالم الأوهام والأساطير. كما تعمل فلسفات ما بعد الحداثة على تفويض المقولات المركزية للفكر الغربي، وإعادة النظر في يقينياتها الثابتة، وذلك عن طريق التفويض والتشكيك والتشتيت والهدم، كما آمنت نظرية ما بعد الحداثة بالتعددية والاختلاف وتعدد الهويات، وأعادت الاعتبار للسياق والإحالة والمؤلف والمتلقي، كما هو حال الهيرمونيطيقا وجمالية التلقي.

بيد أن من أهم سلبيات ما بعد الحداثة اعتمادها على فكرة التقويض والهدم والفوض، ويلاحظ أن نظرية ما بعد الحداثة تقوض نفسها بنفسها، نظرا لطابعها الفوضوي والهدمي والعبثي.

لم يكن العالم العربي بمعزل عن الأفكار والمصطلحات التي أفرزتها هذه المرحلة، فبفعل الترجمة والتعريب واكب النقاد العرب مختلف التحولات النقدية الغربية، وقد تباينت طرق التعامل مع هذه المصطلحات كل حسب ثقافته وميولاته.

من النقاد العرب من أخذ المصطلح كما هو محاولا إيجاد مكان له في اللغة العربية والنقد العربي ذلك أن البحث عن ما يرادفه ي العربية يؤثر بشكل كبير على المعنى الدقيق لهذا المصطلح.

بينما آثر فريق آخر الغوص في التراث العربي للبحث عن المقابل العربي للمصطلح الغربي لجعله يتلاءم مع طبيعة اللغة والثقافة والنقد العربي، في محاولة جادة لإبراز شخصية الناقد العربي الذي يتبني المناهج الغربية بكثير من الوعي والحذر.

النقد الجزائري على غرار النقد العربي واكب تسارع الحركة النقدية الغربية وتفاعل بشكل جلي مع مرحلة ما بعد الحداثة، ويتجلى هذا بصورة واضحة في أعمال الكثير من النقاد الجزائريين البارزين أمثال الدكتور عبد الملك مرتاض.

وتعد تجربة نقد ما بعد الحداثة في الجزائر تجربة ناضجة وواعية تبلور مدى وعي النقاد الجزائريين بالأفكار والمصطلحات التي تدعو إليها، بيد أن الناقد الجزائري على غرار الناقد العربي وقع ضحية التبعية الفكرية، وعدم الاتفاق على مسمى واحد للمصطلح الواحد مما نتج عنه فوضى في المصطلحات.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد حققنا ولو بصورة صغيرة شيئا من هذا الموضوع، وإلا فإثارة هذه القضية ليتم البحث فيها لاحقا إن شاء الله تعالى من طرف باحثين آخرين.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب:

1- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، - من المحاكاة إلى التفكيك - دار المسيرة للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2003.

2- أحمد عطية عبد الحليم: جاك دريدا والتفكيك، دار الفرابي، ط، بيروت- لبنان، 2010.

3- بسام قطوس، استراتيجيات القراءة والتأويل (التأصيل والإجراء النقدي)، دار الكندي، (د.ط)، الأردن، 1998.

4- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2006.

5- بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية، عالم الكتب الحديثة، ط1، إربد، الأردن، 2010.

6- بشرى موسى، نظرية التلقي، المركز الثقافي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

7- حسن حنفي، الهيرمينوطيقا والتأويل، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

8- رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، تقديم: عز الدين مناصرة، منشورات الاختلاف، (د.ط)، 2002.

9- رضوان جودت زيادة، صدى الحداثة وما بعد الحداثة في زمنها القادم، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 2003.

10- زواوي بغورة، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة)، دار الطبيعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2005.

11- سعيد علوش، هيرمونيتيك النثر العربي، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، الدار البيضاء، 1995.

12- سامي منير عامر، وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث، (دراسة في تطور مفهوم التذوق البلاغي)، دار المعارف، (د.ط)، وهران، (د.ت).

13- سعيد توفيق، ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2004.

14- سعد البازعي، استقبال الآخر – الغرب في النقد العربي الحديث – المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

15- عادل عبد الله، التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ط1، دمشق، سوريا، 2000.

16- عصام خلف كامل، الاتجاه السيمولوجي ونقد الشعر، فرحة للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2003.

17- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

18- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية المعاصرة –، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1996.

19- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1985.

20- عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، دار سعاد الصباح، الصفاة، ط2، الكويت، 1993.

21- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

22- عزت محمود جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د.ط)، (د.ت).

23- عبد المالك مرتاض، دراسة سيميائية لقصيدة "أين ليلتي" لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1990.

24- عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومه، (د.ط)، 2007.

25- عبد المالك مرتاض، مقامات السيوفي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996.

26- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، سلسلة المعارف، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996.

27- عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية)، دار المنتخب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1994.

28- فاضر ثامر، اللغة الثانية (إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي الحديث)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1996.

29- ماجد الجعافرة، أمجد طلافحة، المرجعيات في الأدب والنقد واللغة، م 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.

30- محمد شوقي زين، الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.

31- محمد شوقي زين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

32- محمد زغلول سلام، النقد الأدبي المعاصر (البنيوية وما بعدها)، ج 2، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية، 2007.

33- محمد ولد بوعليبة ، النقد الغربي والنقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2002.

34- محمود العشيري، الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة دليل القارئ العام، ميريت للنشر والمعلومات، ط2، القاهرة، مصر، 2003.

35- مختار ملاس، دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث (عبد الله البردوني نموذجا)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، (د.ط)، الجزائر، 2002.

36- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2004.

37- محمد عزام، التلقي والتأويل، دار الينابيع، ط1، دمشق، 2007.

38- موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دار جرير، ط1، الأردن، 2008.

39- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 2005.

40- مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد السيميائي (الإشكالية والامتداد والأصول)، اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 2005.

41- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا)، المركز الثقافي العربي، ط4، بيروت، لبنان، 2005.

42- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

43- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه للطباعة والنشر، ط3، 1993.

44- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د.ط)، الجزائر، 2002.

45- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، الجزائر، 2009.

ثانيا- المراجع الأجنبية المترجمة:

1- اديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد للنشر، ط 1، الكويت، 1993.

2- امبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، لبنان، 2005.

3- امبرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 2004.

4- برنار توسان، ما هي السيمولوجيا؟، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

5- بيير جيرو، علم الإشارة (السيمولوجيا)، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، (د.ط)، دمشق، 1988.

6- جاك دريدا، في علم الكتابة، تر: أنور مغيث، منى طلبة، المركز القومي للترجمة، ط 2، 2008.

7- جون ستروك، البنيوية وما بعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، (د.ط)، الكويت، 1997.

8- جيروم ستولتيتر، النقد الفني دراسة جمالية فلسفية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1981.

9- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، دار المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، لبنان، 2008.

10- دليلة مرسلي، فرانسوا شوفالدون، مارك بوفات، جان موطيت، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، بن عكنون، الجزائر، 1995.

11- ريمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

12- روبير شولز، السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، ط1، 1994.

13- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، تر: محمد البكري، كلية الآداب، مراكش، (د.ط)، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

14- ريتشارد هارلند، ما فوق البنيوية، تر: لحسن احمامة، دار العوار للنشر والتوزيع، ط 2، سوريا، 2009.

15- فرديناند دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، تر: غازي ومجيد الناصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط1، 1986.

16- ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، تر: ثائر ديب، دار الفرقد، ط1، دمشق، 2008.

17- مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، تر: خميسي بوغرارة، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003.

18- يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي، (حول الآلية السيميوطبقية للثقافة)، تر: عبد المنعم تليمة، ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ط 1، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، 1987.

ثالثا- المعاجم:

1- بسام البركة، معجم اللسانية، فرنسي - عربي، مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية، منشورات جروس - بيرس، ط1، بيروت، 1985.

2- سهيل إدريس وصبحي الصالح، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، دار الآداب، بيروت، 2005.

3- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010.

رابعا- المجلات والدوريات والملتقيات:

1- عبد المالك مرتاض، بين التناص والتكاتب الماهية والتطور، مجلة قوافل، النادي الأدبي، ع 7، الرياض، السعودية، 1996م.

2- طارق ثابت، المنهج السيميائي، ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب، 08-07-2010م.

3- فريد أمعظشر، المنهج السيميائي، ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب، 08-07-2010م.

خامسا- المواقع الإلكترونية:

1- المختار السعيدي، نظرية التلقي في الغرب 2009/05/03، مقال إلكتروني email :arabagreg@gmail.com بتاريخ 2017/03/02، 21:35.

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة أ – ج
مدخل 5-12
الفصل الأول: ما بعد البنيوي 14-47
1- ما بعد البنيوية 14-20
1-1 المفهوم 14-16
1-2 الإرهاصات الأولى لما بعد البنيوية 16- 20
2- ما بعد البنيوية في النقد الأدبي 20-21
2-1 التفكيكية 21-29
2-2 السيمياء 29-40
2-3التأوي 40-47
الفصل الثاني: استقبال النقد ما بعد البنيوي عربيا وجزائريا
1- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي عند العرب
1-1 تعامل النقاد العرب مع المصطلح ما بعد البنيوي 49-51
1-1-1 تلقي المنهج التفكيكي 51-54
1-1-2 تلقي المنهج السيميائي 55-65
1-1-3 تلقي المنهج التأويلي 65-67
2- التلقي النقدي للمصطلح ما بعد البنيوي في كتابات عبد الملك مرتاض 68-69
2-1 استقبال المنهج التفكيكي 69-75
2-2 استقبال المنهج السيميائي 75-83
2-3 استقبال المنهج التأويلي 83-85
خاتمة 87-88
قائمة المصادر والمراجع 90-97
الفهرس 99

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مدى تلقي المصطلح ما بعد البنيوي في المدونة النقدية الجزائرية من خلال محاولات التلقي والتحليل والترجمة في أعمال الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، ومنهجه في القبض على الدلالات اللانهائية، والحاملة لإشكالية المثاقفة والصراع الفكري مع الآخر.

Rèsumè :

Cette recherche vise à dévoiler le degré de réception du terme structure dans le copus critique algérien à travers les tentatives de réception,d’analyse et d’interprétation dans les œuvres du grand critique algérien « Abd el Malek Mertadh » ainsi que sa methodologie pour que sa methodologie pour la détection des significations infinies qui portent la problématique de l’interculturation et le conflit idéologique avec autrui.